ثقافات الشعوب





لايلي العاشقة

حكايات شعبية من الهند

جمع: توماس جوزيف جاكوبس
ترجمة: شاكر حسن راضي

لايلي العاشقة

حكايات شعبية من الهند

جمع :

جوزيف جاكوبس

ترجمة :

شاكر حسن راضي





لايلي العاشقة

حكايات شعبية من الهند

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

لايلي العاشقة: حكايات شعبية من الهند

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.J19.In12 2009
Jacobs, Joseph, 1854-1916.
[Indian Fairy Tales]

لايلي العاشقة: حكايات شعبية من الهند/ جمع جوزيف جاكوبس؛ ترجمة شاكر حسن راضي.
- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
184ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-530-7
ترجمة كتاب: Indian Fairy Tales
1 - القصص الشعبية الهندية. 2 - الحكايات الهندية. أ- راضي، شاكر حسن.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

هذه «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة» ولكن بنكهة وتوابل هندية: عالم من السحر قائم على المخيلة الشعبية المبدعة التي ظلت تغذي وتبتكر وتضيف إلى هذه الحكايات عبر القرون من دون أن تغير في جوهرها ومضمونها الأخلاقي. وكما بيّن معدّ ومحرر هذه المجموعة في ملاحظاته فهناك تداخل واضح وجلي في أسلوب السرد والحبكة والمواضيع ما بين الحكايات الهندية وكليلة ودمنة أو ألف ليلة وليلة. وسنجد كلمات عربية وفارسية وحتى إشارات إلى حكايات مستمدة من مجنون ليلى والقصص الشعبي العربي. بالإضافة إلى ذلك نجدها متداخلة مع حكايات شعبية من أفريقيا وأوروبا القرون الوسطى وأمريكا لكن الأصل الذي يقتفي الباحث أثره في نهاية المطاف هو بلاد الهند أو البنغال أو كما يسميها جايكوبس «شبه الجزيرة الهندية».

ربما يستغرب القارئ المعاصر الذي جرفته ثورة المعلومات من طبيعة القصص المعروضة في هذا الكتاب وتركيبتها، ولكن المثير للاهتمام أن الخيال الجامح الذي يميز هذه الحكايات الشعبية القديمة يلتقي مع ما وفرته ثورة التقنية الحديثة من إمكانات للتلاعب بالصورة والصوت والعودة إلى عوالم بدائية سحيقة تستقطب اهتمام الصغار والكبار وتعرضها في شكل أفلام متحركة للأطفال أو خيال علمي للكبار وبذلك تلغي عامل الزمن والفجوة السحيقة بين أجيال البشرية في مختلف أرجاء المعمورة.

تنقل لنا هذه المجموعة من قصص الخيال أفكاراً وصوراً ورموزاً من أرض العجائب وبلاد المتناقضات: الراجا والفقير، الأمير والشحاذ، الأسد والأرنب، الأميرة والخادمة، الخير والشر، الكركي الطيب والكركي الخبيث، الثراء الفاحش والفقر المدقع. هي الهند بكل تناقضاتها وأهوالها وسحرها، بطبيعتها الساحرة وشمسها الحارقة، بحيواناتها الغريبة والنادرة، وبفلسفتها الروحية والصوفية، وبخرافاتها وواقعها. ورغم ذلك لا تخرج هذه الحكايات عن الشكل المألوف لدى قارئ ألف ليلة وليلة وغيرها من الحكايات الشعبية الخيالية.

لكن الأصول تعود دائماً إلى الهند كما يؤكد معظم الباحثين الذين أشار إليهم محرر هذه المجموعة. ويؤكد هؤلاء أن هذه الحكايات ربما تكون قد وصلت إلى الغرب خلال فترة الحروب الصليبية عبر التجار والبعثات التبشيرية وغيرها من وسائل الاتصال الشفهي .

تلقي هذه الحكايات الضوء على طريقة عيش سكان هذه البلاد وتفكيرهم ومعتقداتهم التي تعود جذورها إلى آلاف السنين وإلى أصول ومؤثرات دينية وثقافية وسلوكية متباينة انعكست في طريقة السرد والمخيلة والأحلام والطموحات الشعبية البسيطة التي تتجسد في الحصول على لقمة العيش التي كانت ولا تزال عزيزة يسعى خلفها أبناء هذه البلاد في مشارق الأرض ومغاربها. فهم يشحذون الخيال لأجل تحقيق العدل والمساواة وردم الهوة بين الأغنياء والفقراء عبر أحداث وثيمات تشبه إلى حد كبير ما تقدمه السينما الهندية الحديثة وما أشبه اليوم بالبارحة!

نجد في كل قصة تقريباً إشارة إلى هذا الموضوع ونجد تكراراً لحوارات تدور بين الأمير والفقير والسيدة والخادمة والملك الذي يجد عوناً في فقير حكيم يدله على طريق الخير والعدالة والمساواة،

فيكافئه الملك ويزوجه من ابنته أو يجعله وزيراً أو يكتشف أنه ابنه المفقود الذي تخلصت منه زوجته الثانية أو زوجاته. وهكذا تدور الأحداث لتؤكد أن الحكاية الشعبية الخيالية مرتبطة إلى حد كبير باللا وعي الجمعي وبالواقع الذي يهرب منه الناس إلى مخيلتهم ليخلقوا عالماً جميلاً خالياً من الشر والاستغلال، عالم من المثالية المستحيلة لكنها رغم ذلك تظلّ تشكل جوهر الفكر المثالي السائد في أديان شعوب شبه القارة الهندية وثقافاتهم.

شاكر حسن راضي

تمهيد

من أقصى غرب العالم الهندو - أوروبي نذهب هذا العام إلى أقصى الشرق[1]. ومن مروج جيلدوم الخضراء ورذاذ مطرها الخفيف، نسعى إلى الوصول إلى الشمس الحارقة والأرض الجرداء في بلاد الهندوس.

وفي أوروبا وأرض الشمال، مات الايمان بالجنيات والأقزام الخرافيين والغيلان والوحوش الكاسرة، أما في بلاد الهند فما زال هذا المعتقد يزدهر بكل قوة.

تختلف الشخصيات والتربة الوطنية إلا أن الحكايات الأسطورية تتشابه من حيث الحبكة والأحداث، إن لم تكن في طريقة المعالجة. ولقد عرف الغرب الجزء الأكبر من الحكايات الموجودة في هذا الكتاب بشكل أو بآخر، إلا أن المشكلة تبرز بشأن طريقة تفسير وجودها المتزامن في أقصى الغرب والشرق.

(1) إشارة إلى أن مجموعة الحكايات هذه كانت وقتذاك جزءاً من سلسلة (م).

وكما أعلن بينفي[1] في ألمانيا، وإم. كوسكين[2] في فرنسا، والسيد كلوستون[3] في إنجلترا، من أن الهند هي منبع الحكايات الخيالية وأن المشاركين في الحروب الصليبية والبعثات المنغولية والغجر واليهود والتجار والرحالة قد نقلوا إلى أوروبا حكاياتها الخيالية من هناك.

وما زالت القضية معروضة للنقاش ولا يمكن للمرء التعامل معها إلا بصفة مؤيد أو معارض. لكنني سأحاول، ضمن حدود معينة، تقديم صورة موجزة عن الهند. فبالقدر الذي يمتلك أطفال أوروبا قصصهم الخيالية المشتركة، فإن أكثر من ثلث هذه الحكايات مستوحى من الهند. وعلى وجه الخصوص، يمكن تعقب آثار أغلبية الحكايات الفكاهية أو الحكايات الكوميدية والأغاني المقفاة ومن دون الكثير من الصعوبات إلى شبه القارة الهندية.

---

(1) ثيودور بينفي (1809- 1891): عالم لغة ألماني اهتم خاصة باللغة السنسكريتية (م).

(2) إيمانويل كوسكين (1841 - 1919): عالم فلكلور فرنسي، صاحب كتاب «حكايات اللورين الشعبية» الذي ناقش في مقدمته أن الحكايات الأوروبية مستقاة من أصول هندية (م).

(3) وليم ألكسندر كلوستون (1843- 1896): عالم فلكلور إنجليزي اهتم بدراسة الفلكلور الشرقي خاصة وبين أعماله ترجمة للشعر العربي الكلاسيكي (م).

وبالتأكيد هناك فيض من الأدلة على أن عدداً لا بأس به من الحكايات الفكاهية والخرافية قد نقلت من الهند في وقت مبكر بوسائل أدبية خلال فترة الحروب الصليبية. وقد لقيت مجموعات معروفة في أوروبا بعناوين مثل «حكايات بيدبا»[1] و»الحكماء السبعة»[2]، و«جيستا رومانورم»[3]، و«بارلام وجوزاف»[4]، إقبالاً شعبياً واسعاً خلال القرون الوسطى، وانتقلت محتوياتها من يد لأخرى لتصل إلى أمثال الوعاظ من الرهبان، ومنها إلى الروايات القصيرة في إيطاليا، ومنها، بعد ذلك بفترة قصيرة، إلى المسرحيات في العصر الإليزابيثي وربما يمكن تعقب أثر هذا المصدر في زهاء عشر الأحداث الرئيسية في الحكايات الشعبية الأوروبية.

وهناك العديد من المؤشرات إلى وجود تواصل أدبي مبكر بين أوروبا والهند، وخاصة في مجال الحكاية الشعبية والخرافية أو قصص الحيوان الفكاهية.

(1) هو نفسه «كليلة ودمنة» الذي يعرف أيضاً باسم «الفصول الخمسة» (م).
(2) أو «ساجات روما السبع» الذي يعود إما إلى أصول سنسكريتية أو فارسية أو عبرية (م).
(3) كتاب نوادر حكايات أخلاقية وضع على الأرجح باللاتينية في القرن الثالث عشر ويعتقد أن واضعه راهب (م).
(4) الاسم الذي أعطي لعدد من الحكايات بعدد من اللغات تدور حول القديسين الهنديين بارلام وجوزاف، مؤلف الكتاب مجهول وهو يعود إلى منتصف القرن الثالث عشر (م).

وفي مناقشة معمّقة في «تاريخ حكايات إيسوب»، وردت في مقدمتي التي قدمت بها لطبعتي من كتاب كاكستون الموسوم «حكايات إيسوب الخرافية» (لندن، 1889)، توصلت إلى استنتاج مفاده أن عدداً لا بأس به من الحكايات الخرافية التي تمر باسم العبد الساماني «إيسوب»، مأخوذ من المصدر نفسه على الأرجح إذ استغلت الحكايات نفسها في قصص «الجاتاكا» أو قصص ولادات البوذا، وتحتوي هذه القصص على عدد كبير من أقدم تشكيلة من الحكايات الشعبية في العالم، أي ما يمكن وصفه (بالجريم الهندية) التي جمعها الأخوان الألمانيان جريم، وهذه الحكايات تعود إلى أكثر من ألفي عام قبل أن يبدأ الأخوان جريم بجمعها، والخروج بمثل تلك النتائج السارة. ولهذا السبب أضفت عدداً لا بأس به من تلك الحكايات في كتابي هذا، وسيكون أمراً مفاجئاً لي لو أن هذه الحكايات التي أثارت ضحك البوذيين الورعين ودهشتهم على امتداد الألفي سنة الماضية أخفقت في إحداث الأثر نفسه عند الأطفال الإنجليز. لقد كانت قصص «الجاتاكا» ناجحة في نسختها الإنجليزية، على يد مترجمين نقلوها بقوة ودقة، وأشعر بالفرح من أنني أستطيع أن أنشر هنا ترجمة لاثنين من حكايات «الجاتاك»ا ترجمهما إلى الإنجليزية السيد د. هـ. د. راوز، من كلية كرايست، كامبردج، وفي إحدى هاتين القصتين اقتفيت أثر مصدر حبكة «طفل القار» في حكاية «العم ريموس».

ورغم أن الحكايات الخرافية الهندية هي الأقدم من حيث وجودها، إلا أنها تعد الأحدث من منظور آخر. فقبل خمس وعشرين سنة فقط بدأت الآنسة فرير بإعداد المجموعة المعاصرة للحكايات الشعبية الهندية في كتابها الساحر «أيام ديكان العجوز»(لندن، جون موراي، 1868، الطبعة الرابعة، 1889). وسارت على أثرها الآنسة ستوكس والسيدة ستيل، والرائد تمبل، والسيد ناولز والسيد كامبل، في حكايات بانديت ناتيسا ساستري، بالإضافة إلى آخرين ممن نشروا الحكايات الشعبية في المجلات الدورية كما في دورية الآثار الأدبية الهندية ومجلة المستشرق. لقد تم استكشاف المخزون القصصي الهندي خلال الربع الأخير من القرن، رغم أن التنوع الهائل للبلاد يوفر مجالاً لأي عدد إضافي من الباحثين والمجاميع.

ورغم المسافات التي قطعتها المواضيع التي وردت في المجاميع القصصية، فقد وجد أن عدداً كبيراً من الأحداث الأكثر شيوعاً في الحكايات الشعبية الأوروبية ترجع في أصولها إلى الهند.

وسواء جلبت هذه القصص أو ولدت هناك، لا نملك بالكاد أي معيار لإصدار الحكم، ولكن طالما أن بعضها لا يزال شائعاً بين الناس في الهند ويمكن تعقب آثاره لأكثر من ألف سنة، فإن الأرجحية تميل إلى أنها من أصول هندية.

ومن كل هذه المصادر ومن حكايات الجاتاكا، وحكايات بيدبا، ومن أحدث المجموعات، اخترت تلك القصص التي تلقي الضوء على أصل الخرافة والحكايات الشعبية وفي الوقت نفسه، اخترت تلك القصص التي يحتمل أن تكون الأكثر جاذبية للأطفال الناطقين بالإنجليزية، إلا إنني لم أضمّن المجموعة الكثير من القصص التي تنحو منحى مجموعة جريم خشية أن أكرر محتويات الجزأين السابقين من هذه السلسلة، مما أضعف إلى حد ما تمثيل الهند في هذا الكتاب. وقد قيّدت الحاجة إلى تلبية متطلبات الفتيان والفتيات خياراتي من الكتاب الشهير «محيط من أنهار القصص»، أو «كاثا- ساريت ساجارا»، لسوماديفا. أما القصص الموجودة بلغة بالي وباللغة السنسكريتية فقد أخذتها من الترجمات، ومعظمها من ترجمة بينفي إلى الألمانية أو الترجمة الرصينة للبروفسور رايس – ديفيدز الذي يتوجب عليّ شكره للسماح لي باستخدام نسخته من حكايات الجاتاكا.

ولقد مكّنت من أن أجعل هذا الكتاب مجموعة نموذجية للحكايات الشعبية الهندية بفضل مجموعة من الجامعين الأصلاء أو ناشريهم. والشكر موضول للآنسة فرير التي أعطتني استثناء خاص، ومنحتني حق تضمين قصة «بنشكين» الجميلة، وتلك الأسطورة الطريفة «كيف خرجت الشمس والقمر والريح إلى العشاء»، وكانت الآنسة ستوكس كريمة جداً معي في منحي حق استعمال النماذج المميزة من كتابها «حكايات شعبية هندية»، وأدين للرائد تمبل بامتياز الاختيار من مجموعته المثيرة للاعجاب «قصص اليقظين» وإلى السادة كيجان بول وترينتش وشركاه الذين سمحوا لي باستخدام مجموعة السيد ناولز الموسومة «حكايات شعبية من كشمير» في مكتبتهم الشرقية وإلى السيد و . هـ . الين الذي سمح لي بالاختيار من مجموعة السيدة كنجزكوت «حكايات الشمس»، والسيد م. ل. ديمس الذي مكنني من أن أضيف إلى مخزون القصة الهندية المنشورة بالسماح لي باستخدام واحدة من قصص مجموعته «حكايات من بلوشستان».

ولابد لي من أن أهنئ نفسي على تعاون صديقي السيد جي. دي . باتن[1] الذي أعطى شكلاً جميلاً وممتعاً لإبداعات المخيلة الشعبية الهندية فلم يكن الأمر بسيطاً لكي يتم تجسيده كما فعل

(1) يتحدث المؤلف هنا عن نسخة تضم رسومات مصورة من هذا الكتاب (م).

باتن في تجسيد روعة وروح الدعابة والمرح في الثقافتين السلتية والهندية. وهذا دليل إضافي على أن الحكايات الشعبية هي شيء أكثر من أن تكون سلتية أو هندية بل هي حكايات إنسانية.

جوزيف جاكوبس

حكاية الأسد وطائر الكركي

ولد البوديساتا[1] مرة في إقليم هيمافانتا[2] في هيئة كركيّ أبيض. وكان براهماداتا في حينها يحكم إقليم بيناريس. وصادف أنه حين كان أحد الأسود يأكل لحماً، علقت عظمة في حنجرته التي تورّمت، وتسببت له بمعاناة فظيعة وحرمته من تناول الطعام. فرآه طائر الكركي الذي وقف على شجرة يبحث عن الطعام، وسأله: «ما الذي يؤلمك أيها الصديق؟». أخبره الأسد بالسبب. فرد علية الكركي: «أستطيع أن أخلصك من تلك العظمة أيها الصديق، ولكنني لا أجرؤ على الدخول إلى فمك خشية أن تأكلني». فرد الأسد: «لا تخف أيها الصديق، لن آكلك، ما عليك سوى إنقاذ حياتي». فقال الكركي: «حسناً»، قال الكركي، وطلب من الأسد أن يستلقي على جانبه الأيسر .

---

(1) أي بوذا، فاسم بوديساتا هو الذي أشار به بوذا إلى نفسه في سياق الكلام على وصوله إلى التنوير، وهو ما تعنيه هذه الكلمة (م).

(2) الهيمافانتا هي غابة أسطورية تحيط بجبل ميرو في الأساطير الهندية وهي مكان اجتماع المخلوقات الخرافية (م).

في أثناء ذلك راح الكركي يفكر مع نفسه متسائلاً: «ما أدراك ما الذي سيفعله هذا المخلوق». فوضع قطعة خشب صغيرة بوضع قائم بين فكي الأسد بحيث لا يعود قادراً على إغلاق فمه، وما إن أدخل رأسه داخل فم الأسد حتى ضرب أحد طرفي العظمة بمنقاره وأخرجها من فم الأسد. ثم سارع إلى إخراج رأسه، ضارباً قطعة الخشب بمنقاره حتى خرجت، ثم استقر على غصن. وتحسن حال الأسد حتى أنه في أحد الأيام كان يأكل جاموساً اصطاده، فقال الكركي في نفسه: «سأحاوره»، واستقر على غصن شجرة فوق رأسه تماماً. وفي حوارهما نطق الكركي بهذا المقطع الشعري الأول:

«يا ملك الوحوش ، يا صاحب الجلالة

خدمة وقدمناها لك

بأفضل ما نستطيع

فأي عائد سنجني مقابل ذلك؟».

ورداً عليه ، نطق الأسد بهذا المقطع:

«لأني أقتات على الدماء

وأبحث دائماً عن فرائسي

إنها لنعمة أنك ما زلت حياً

بعد أن كنت مرة بين فكيّ».

وعلى ذلك رد الكركي بمقطعين من الشعر قال فيهما:

«ناكر للجميل ، غير فاعل للخير

لا يرد الجميل بالجميل

مخلوق يفتقر للامتنان

ولا فائدة من مساعدته

لا يكسب وده

بأحسن الأفعال

يجدر بي أن أبتعد بهدوء عنه

لا أحسده ولا أمقتهُ».

وبعد أن نطق الكركي ذلك طار مبتعداً. وحين انتهى المعلم الكبير البوذا، من سرد حكايته، أضاف قائلاً: «كان الأسد في حينها هو ديفاداتا[1] الخائن. أما الكركي الأبيض فلم يكن إلا أنا نفسي».

(1) هو ابن عم بوذا الذي حاول إنشاء مذهب مستقل عن بوذا وتبعه عدد من التلاميذ لكنهم سرعان ما تركوه وعادوا إلى بوذا ثم حاول هو نفسه العودة إليه. وغالباً ما يوصف بالغيرة والخيانة (م).

كيف فاز ابن الراجا بالأميرة لابام

كان هناك أمير في أحد البلدان ليس له سوى ولد واحد وكان هذا الولد يخرج للصيد كل يوم. وفي أحد الأيام قالت له أمه الملكة: «بإمكانك الصيد حيثما شئت في هذه الاتجاهات الثلاث، ولكن عليك ألا تذهب إلى ذلك الاتجاه الرابع». قالت ذلك لأنها كانت تعلم أنه إذا ما ذهب في الاتجاه الرابع فسيسمع عن الأميرة الجميلة لابام، وعندها سيهجر والدته ويذهب باحثاً عنها.

أصغى الأمير لأمه وأطاعها لفترة من الزمن، وفي أحد الأيام، وفي أثناء قيامه بالصيد من الجهات الثلاث التي سمح له بالذهاب إليها، تذكر ما قالته له عن الاتجاه الرابع، وعقد العزم على أن يذهب ويرى سبب منعها إياه من الصيد في ذلك الاتجاه. وعندما وصل، وجد نفسه في غابة ليس فيها سوى حشد من الببغاوات. أطلق الأمير الشاب النار على بعض منها، وعلى الفور، طارت الببغاوات مبتعدات باتجاه السماء. ابتعدن جميعاً إلا واحداً من الببغاوات، وهو أمير الببغاوات ويدعى هيرامان.

وحين وجد أمير الببغاوات نفسه وحيداً، نادى على بقية رعيته وقال «لا تبتعدوا وتتركوني وحيداً عندما يطلق ابن الأمير النار. فلو هجرتموني بهذه الطريقة، سأخبر الأميرة لابام بذلك».

عندها عادت جميع الببغاوات طائرات ومزقزقات نحو أميرهن،. وقد ذهل الأمير من ذلك كثيراً، وقال «ما هذا، هذه الطيور تستطيع الكلام!»، ثم وجه حديثه إلى الببغاوات وسأل «من هي الأميرة لابام؟ وأين تعيش؟». لكن الببغاوات لم تردّ عليه وتخبره بمكان الأميرة. وكل ما قالته له هو: «لا يمكنك الوصول إلى بلاد الأميرة لابام».

حزن الأمير كثيراً عندما رفضت طيور الببغاء إخباره المزيد، فرمى بندقيته بعيداً وقفل عائداً إلى البيت. وعندما وصل إلى البيت، لم يكن يرغب في الحديث أو تناول الطعام، واستلقى على فراشه لأربعة أو خمسة أيام وبدا مريضاً جداً.

أخيراً أخبر والده ووالدته أنه يريد أن يخرج ويرى الأميرة لابام، وقال: «يجب أن أذهب، لابدّ لي من أن أرى صورتها، قولا لي، أين بلادها».

رد عليه الأب والأم: «لكننا لا نعرف مكان بلادها».

فقال الأمير: «إذاً يجب أن أذهب بنفسي وأبحث عنها».

قال الأبوان: «كلا، كلا، كيف تتركنا وأنت ولدنا الوحيد. ابق معنا. فلن تجد الأميرة لابام».

«يجب أن أحاول، ربما سيريني الله الطريق. وإذا ما عشت ووجدتها، فسأعود إليكما، ولكن ربما أموت، وعندها لن أراكما مرة أخرى. ومع ذلك، يجب أن أرحل».

اضطرا للسماح له بالرحيل، رغم أنهما بكيا كثيراً عند فراقه. أعطاه والده ملابس جميلة ليرتديها وحصاناً رشيقاً، وأخذ بندقيته وقوسه وسهامه، والكثير الكثير من الأسلحة الأخرى، قائلاً في نفسه «ربما أحتاج إليها». وأعطاه أبوه الكثير من المال.

ثم أمر بإحضار حصانه استعداداً للرحيل، ثم ودّع والده ووالدته، أخرجت أمه منديلها ولفت به بضع حبات من الكعك الحلو وأعطتها لولدها وقالت: «عندما تجوع، يا ولدي، كل شيئاً من هذه اللقيمات الحلوة».

ثم شرع في رحلته، وسار طويلاً على صهوة حصانه حتى وصل إلى غابة فيها خزان ماء وأشجار وارفة الظلال.

استحم وغسّل حصانه في خزان الماء، ثم جلس تحت إحدى الأشجار وقال لنفسه: «سآكل الآن بعض اللقيمات الحلوة التي أعطتني إياها أمي، وسأشرب شيئاً من الماء، ثم أواصل رحلتي». فتح منديله وأخرج قطعة من الحلوى. فوجد بها نملة. وأخذ أخرى، وكانت فيها نملة هي الأخرى. وضع قطعتي الحلوى على الأرض، وأخرج ثالثة، ورابعة وخامسة حتى أخرج كافة قطع الحلوى، وفي كل واحدة وجد نملة. قال: «لا بأس، لن آكل هذه الحلوى، وسأتركها للنمل ليأكلها». عندها حضر أمير النمل ووقف أمامه وقال: «لقد كنت طيباً معنا. إذا ما وقعت في مشكلة، فما عليك سوى أن تفكر بي وسأحضر عندك».

شكره ابن الراجا، وركب على ظهر حصانه وواصل رحلته. ثم سار وسار حتى وصل إلى غابة أخرى، وهناك رأى نمراً في قدمه شوكة وكان يزأر بصوت عالٍ من شدة الألم.

سأله الأمير الشاب: «لِمَ تزأر هكذا؟».

أجاب النمر: «غرزت شوكة في قدمي شوكة منذ اثني عشر عاماً، وهي تؤلمني بشدة، ولهذا أزأر».

قال ابن الراجا: «حسناً، سأخرجها من قدمك. ولكن، وبما أنك نمر، قد تأكلني بعد أن أكون قد أسديت لك خدمة».

قال النمر: «كلا، لن آكلك، أرجوك ساعدني».

عندئذ أخرج الأمير سكيناً صغيراً من جيبه وأخرج الشوكة من قدم النمر. وحين فعل ذلك زأر النمر بصوت أعلى من ذي قبل، فسمعته زوجته النمرة من الغابة المجاورة، وجاءت مسرعة لترى ماذا حدث. رآها النمر قادمة، فأخفى الأمير في الغابة، حتى لا تراه.

سألته زوجته: «هل آذاك أحد حتى زأرت بهذه القوة؟».

فرد النمر: «كلا، لم يؤذني أحد، لكن جاء ابن أحد الراجات وأخرج الشوكة من قدمي».

قالت زوجته: «أين هو؟ أرني إياه».

فرد النمر: «إذا وعدتني بألا تقتليه، فسأنادي عليه».

«لن أقتله. فقط دعني أره».

حينئذ نادى النمر على ابن الراجا، وعندما رأياه حيّاه النمر وزوجته تحية كبيرة. ثم أقاما له وليمة عشاء طيبة، وبقي معهما

ثلاثة أيام. وكان كل يوم يفحص قدم النمر، حتى شفيت تماماً في اليوم الثالث.

ثم ودّعهما وقال له النمر: «إذا وقعت في مشكلة، ما عليك سوى التفكير بي وستجدني عندك».

واصل ابن الأمير رحلته على ظهر حصانه حتى وصل إلى غابة ثالثة، وجد فيها أربعة من النساك الدراويش الذين مات معلمهم وسيدهم وترك لهم أربعة أغراض وهي سرير، يحمل كل من جلس عليه إلى أي مكان يشاء الذهاب إليه، وكيس يمنح صاحبه كل ما يرغب فيه، من مجوهرات وطعام أو ملابس، وطاس حجري يمنح مالكه كل ما يحتاج إليه من الماء، وعصا وحبل، ليس على مالكه سوى أن يقول، إذا ما اقترب منه عدو يريد قتاله: أيتها العصا، اضربي! فتقوم العصا بضرب الأعداء أياً كان عددهم، فيما يقوم الحبل بشد وثاقهم.

كان الفقراء الأربعة يتشاجرون فيهما بينهم على الأشياء الأربعة. فأحدهم يقول «أريد هذا»، والثاني يقول: «لا يمكنك أن تأخذه، لأني أريده»، وهكذا.

قال لهم ابن الراجا: «لا تتشاجروا على هذه الأشياء. سأطلق أربعة سهام في أربعة اتجاهات مختلفة. ومن يصل منكم إلى سهمي الأول سيحصل على الغرض الأول، أي السرير. ومن يصل إلى السهم الثاني، يحصل على الكيس، ومن يصل إلى السهم الثالث، يحصل على الطاس، ومن يصل إلى السهم الرابع، تكون العصا والحبل من نصيبه».

وافقوا على مشورته. ثم أطلق الأمير سهمه الأول، وانطلق الدراويش للحصول عليه. وعندما أعادوه إليه، أطلق السهم الثاني، وعندما وجدوه وأعاده إليه، أطلق السهم الثالث، وعندما جلبوه إليه، أطلق السهم الرابع.

وبينما كانوا يبحثون عن السهم الرابع، أطلق الأمير العنان لحصانه في الغابة وجلس على السرير، بعد أن أخذ الطاس والعصا والحبل، والكيس معه. ثم قال «خذني أيها السرير إلى بلد الأميرة لابام».

وارتفع السرير على الفور في الهواء وبدأ بالطيران وحلّق وحلّق حتى وصل إلى بلاد الأميرة لابام، حيث استقر على الأرض. سأل ابن الأمير رجالاً شاهدهم هناك: «بلد من هذا؟»، فأجابوا: «بلد الأميرة لابام».

مضى الأمير حتى وصل إلى بيت فيه امرأة عجوز سألته «من تكون؟ ومن أي بلد أنت؟».

قال الأمير: «أنا من بلد بعيد، اسمحي لي بالمبيت عندك هذه الليلة».

ردّت العجوز: «كلا، لا أستطيع السماح لك بالبقاء معي. لأن ملكنا أصدر أمراً بعدم السماح للرجال من بلدان أخرى بالبقاء في بلاده. لا يمكنك المكوث في بيتي».

قال الأمير «أنت بمثابة خالة لي، دعيني أبق في بيتك هذه الليلة فقط. فقد حان المساء، وإذا عدت إلى الغابة، فستفترسني الوحوش».

قالت العجوز: «حسناً، يمكنك المبيت هنا الليلة، ولكن عليك أن ترحل صباح غد، ذلك أنه إذا ما سمع الملك أنك قضيت الليلة في بيتي، فسيأمر بالقبض علي وإيداعي السجن».

وهكذا استقبلته العجوز في بيتها وقد سعد ابن الأمير بذلك كثيراً. ثم بدأت بإعداد العشاء، ولكنه أوقفها وقال: «أيتها الخالة، سأعطيك طعاماً». ووضع يده داخل الكيس الذي يحمله، وقال «أيها الكيس، أريد عشاءً». فقدم له الكيس على

الفور عشاءً لذيذاً على طبقين من الذهب. وتناول ابن الراجا والعجوز العشاء معاً.

وبعد أن انتهيا قالت العجوز: «سأجلب شيئاً من الماء».

«لا تذهبي، سيكون لديك كثير من الماء في الحال».

أخذ طاسه وقال له: «يا طاس، أريد شيئاً من الماء». فامتلأ الطاس بالماء. وعندما امتلأ، صرخ الأمير به قائلاً. «كفى، يا طاس!». فتوقف الطاس عن الامتلاء. فقال الأمير: «أترين يا خالة، بهذا الطاس أستطيع أن أحصل ما أريد من الماء».

جن الليل، فقال ابن الأمير: «يا خالة، لم لا تضيئين مصباحاً؟».

فردت عليه: «لا حاجة لذلك، لقد منع ملكنا الناس في هذا البلد من إضاءة أي مصابيح، فحالما يحل الظلام، تخرج ابنته، الأميرة لابام، وتجلس على سطح قصرها وتشع بحيث تضيء البلاد ومنازلنا برمتها، ونستطيع أن نرى كل شيء وكأننا في وضح النهار».

وعندما حلّ الظلام، نهضت الأميرة. ارتدت أجمل ملابسها وحليها ولفت شعرها، وعلى رأسها وضعت شريطاً من الماس

واللؤلؤ. ثم أشرقت كأنها القمر وحوّل جمالها الليل نهاراً. خرجت من غرفتها وجلست على سطح قصرها. ولم تكن لتخرج في أثناء النهار من بيتها، فقد كانت تخرج ليلاً فقط. وكان الناس في بلاد أبيها يخرجون لقضاء مصالحهم.

راح ابن الأمير يتابع الأميرة بهدوء، وكان في غاية السعادة. قائلاً في نفسه: «يا لجمالها».

وعند منتصف الليل، وبعد أن أوى الجميع إلى النوم، نزلت الأميرة عن السطح كعادتها في كل ليلة، ودخلت إلى غرفتها وأخلدت إلى النوم. نهض ابن الأمير بهدوء وجلس على سريره وقال له: «أيها السرير، أريد أن أذهب إلى غرفة نوم الأميرة لابام». حمله السرير الصغير إلى غرفة الأميرة فوجدها قد غطت سريعاً في النوم.

أخذ الأمير الشاب كيسه وقال: «أريد كمية كبيرة من أوراق نبات التنبول». وفي الحال أعطاه الكيس كميات من ورق التنبول المتسلق، فوضعه قرب سرير الأميرة، ثم حمله سريره الصغير عائداً إلى بيت العجوز.

في الصباح التالي، وجدت خادمات الأميرة أوراق التنبول، فرحن يمضغنه.

سألتهن الأميرة: «من أين جئتن بكل هذه الكمية من ورق التنبول؟».

فقلن لها: «وجدناه قرب سريرك». ولم يعلم أحد أن الأمير جاء في الليل ووضعه كله هناك.

في الصباح جاءت العجوز لابن الأمير وقالت له: «ها قد حل الصباح، عليك بالرحيل، فلو علم الملك بما قدمته لك، فإنه سيلقي القبض عليّ».

قال الأمير: «أشعر بالتوعك اليوم أيتها الخالة الطيبة، أرجوك اسمحي لي بالبقاء حتى صباح الغد».

فوافقت العجوز. وبقي الأمير، وتناولا العشاء من الكيس، وشربا الماء من الطاس.

حين حلّ الليل نهضت الأميرة وجلست على سطح بيتها، وعند منتصف الليل، بعد أن خلد الجميع إلى النوم، ذهبت إلى غرفة نومها، وسرعان ما نامت. عندها جلس ابن الأمير على

سريره الصغير وأمره بأن يحمله إليها. ثم أخرج كيسه وقال: «أيها الكيس، أريد أجمل شال». وأعطاه الكيس شالاً رائعاً، فنشره فوق الأميرة النائمة. ثم عاد إلى بيت العجوز ونام حتى الصباح.

وفي الصباح حين رأت الأميرة الشال، فرحت وقالت لأمها: «انظري يا أماه، لابد من أن الله وهبني هذا الشال، إنه جميل جداً». وكانت أمها مسرورة جداً هي الأخرى.

وقالت: «نعم، بنيتي، لابد من أن الله هو الذي وهبك هذا الشال الرائع!».

وفي الصباح قالت العجوز لابن الأمير: «والآن آن أوان رحيلك».

«يا خالتي، لم تتحسن حالتي بعد، دعيني أبق أياماً قلائل أخرى، وأعدك بأن أظلّ متخفياً في بيتك، كي لا يراني أحد». وهكذا سمحت له العجوز بالبقاء.

وعندما هبط ظلام الليل، ارتدت الأميرة ملابسها ومجوهراتها البرّاقة وجلست على سطح القصر. وعند منتصف الليل، عادت إلى غرفة نومها. عندها جلس ابن الأمير على سريره وطار إليها.

وهناك قال لكيسه: «أيها الكيس، أريد أروع الخواتم على الإطلاق». فأعطاه الكيس خاتماً تفوق روعته الوصف. ثم رفع يد الأميرة لابام برقة ليضع الخاتم في إصبعها، ولكنها أجفلت من نومها مرتعبة وقالت متسائلة: «من أنت؟ ومن أي بلد أنت؟ ولماذا تدخل غرفتي؟».

رد الأمير: «لا تخافي يا أميرتي، فأنا لست لصاً. أنا ابن راجا عظيم. وقد أطلعني على اسمك أمير الببغاوات هيرامان الذي يسكن في الغابة حين ذهبت لأصطاد، فتركت أبي وأمي وجئت لأراك».

قالت الأميرة: «حسناً، بما أنك نجل راجا كبير، فلن آمر بقتلك، وسأقول لأبي وأمي أني أرغب في الزواج منك».

ثم عاد الأمير إلى بيت العجوز. وحين أطل الصباح قالت الأميرة لأمها: «لقد حل في بلادنا نجل أمير كبير وأنا أرغب في الزواج منه». وأخبرت أمها الملك بذلك.

قال الملك: «جيد، ولكن إذا كان ابن الأمير هذا يريد الزواج من ابنتي، فعليه أولاً أن ينفذ كل ما آمره به. وإذا ما فشل فسأقتله. سأعطيه ثمانين رطلاً من بذور الخردل، وعليه أن يستخرج

الزيت منها، فإن لم يستطع، سيموت».

وفي الصباح أخبر ابن الأمير العجوز بنيته الزواج من الأميرة. فردت عليه العجوز: «آه. ابتعد عن هذا البلد، ولا تفكر في الزواج منها. جاء قبلك الكثير من الأمراء وأبناء الأمراء قاصدين الزواج منها، وأمر أبوها بقتلهم جميعاً.إذ يقول إن كل من يرغب بالزواج من ابنته يجب عليه أولاً أن ينفذ ما يأمره به. وإذا ما نجح، عندها سيتزوج الأميرة، وإذا ما فشل، فسيأمر الملك بقتله. ولكن ليس هناك من أحد يستطيع القيام بكل الأشياء التي يأمره بها الملك، ولذلك قتل جميع الأمراء وأبناء الأمراء ممن حاولوا. وهذا سيكون مصيرك أيضاً، فاذهب قبل فوات الأوان». لكن الأمير رفض الإصغاء لكلمة مما قالته.

طلب الملك إحضار الأمير من بيت العجوز، فأحضره الخدم إلى بلاط الملك. وهناك أعطاه الملك ثمانين رطلاً من حب الخردل، وطلب منه طحنها لاستخراج الزيت منها في ذلك اليوم على أن يحضرها له في صباح اليوم التالي إلى البلاط.

وقال الملك: «كل من يرغب في الـزواج من ابنتي يجب أن يفعل ما آمره به، فإن لم يستطع قتلته. لذلك فإن لم تستطع استخراج الزيت من حبة الخردل هذه، فستموت».

حزن الأمير أشدّ الحزن حين سمع ذلك. قال لنفسه: «كيف لي أن أستخرج الزيت من كل هذا الخردل في يوم واحد؟». وأضاف «وإن لم أستطع، فسيقتلني الملك». أخذ حبوب الخردل إلى بيت العجوز ولم يكن يعرف ماذا يفعل. وأخيراً، تذكر أمير النمل، وفي اللحظة التي تذكره بها، حضر إليه أمير النمل برفقة نمله وسأله أمير النمل: «لِمَ أنت حزين هكذا؟».

عرض الأمير حبة الخردل عليه وقال له: «أنّى لي أن أستخرج الزيت من كل حب الخردل هذا في يوم واحد؟ وإذا لم أقدم الزيت إلى الملك صباح غد، فإنه سيقتلني».

قال أمير النمل «لا تحزن، استلق ونم، وسنعصر كل الزيت لك خلال اليوم، وستأخذه صباح الغد إلى الملك». استلقى ابن الأمير ونام وقام النمل بعصر الزيت له. سعد الأمير كثيراً عندما شاهد الزيت.

في الصباح التالي أخذ الزيت إلى بلاط الملك، لكن هذا قال

له: «لكنك لا تستطيع الزواج من ابنتي رغم ذلك. وإذا ما رغبت في ذلك، عليك أن تقاتل أولاً العفريتين الذين أمتلكهما وتقتلهما».

كان الملك قد أمسك قبل وقت طويل بالعفريتين، ولأنه لم يعرف ماذا يفعل بهما، فقد اضطر إلى حبسهما في قفص. وكان يخشى أن يطلقهما خشية أن يأكلا كل الناس في بلاده. ولم يكن يعرف كيف يقتلهما، ولذلك كان على كافة الملوك وأبناء الملوك الذين رغبوا في الزواج من الأميرة لابام مقاتلة هذين الشيطانين، وكان الملك يقول لنفسه: «إذ ربما يقتل العفريتين، وبالتالي أتخلص منهما».

وعندما سمع بالعفريتين، انتاب ابن الأمير حزن شديد. وقال لنفسه: «ما الذي أستطيع فعله؟ أنى لي أن أقاتل هذين العفريتين؟». عندها تذكر نمره، وفوراً حضر وزوجته وسألاه: «لِمَ أنت حزين هكذا؟». رد ابن الأمير: «لقد أمرني الملك بمقاتلة ذينك العفريتين وقتلهما. كيف أستطيع ذلك؟». قال له النمر: «لا تخف، وكن سعيداً. أنا وزوجتي سنقاتلهما نيابة عنك».

أخـرج ابن الأمـير من كيسه معطفين جميلين من الذهب والفضة مطرزين باللؤلؤ والماس. وضع هذين المعطفين على النمرين لجعلهما جميلين، وأخذهما إلى الملك، وقال له: «هل تسمح لهذين النمرين بمقاتلة عفريتيك نيابة عني؟».

«لم يمانع الملك، الذي كان كلّ همه موت العفريتين. قال ابن الأمير: «إذن ادعُ عفريتيك، وسيقاتلهما هذان النمران». فعل الملك ذلك. واقتتل النمران والعفريتان حتى تمكن النمران من قتل العفريتين.

قال الملك: «هذا حسن، لكن عليك القيام بشيء آخر قبل أن أهبك ابنتي. هناك في السماء لديّ طبل. عليك أن تصعد وتقرع على الطبل. وإن لم تستطع قتلتك».

فكر ابن الأمير بسريره الصغير. ثم ذهب إلى بيت العجوز وجلس على سريره، وقال «أيها السرير الصغير، هناك في السماء طبل الملك، خذني إليه». طار به السرير وضرب الأمـير على الطبل، وسمعه الملك. وعندما نزل، لم يكن الملك مستعداً ليهبه ابنته. وقال للأمير: «لقد نفذت ثلاثة أشياء أمرتك بها، ولكن عليك القيام بشيء آخر».

قال ابن الأمير: «إن استطعت، فسأفعل».

أراه الملك جذع شجرة ملقى في الفناء. وكان جذعاً سميكاً جداً. ثم أعطاه فأساً من الشمع وقال: «صباح غد عليك أن تقطع هذا الجذع إلى قسمين بهذه الفأس الصغيرة المصنوعة من الشمع».

عاد ابن الأمير إلى بيت العجوز. وكان حزيناً جداً، وفكر بأن الملك سيقتله بالتأكيد. قال في نفسه: «لقد استخرجت له الزيت بمساعدة النمل، وقتل العفريتان على يد النمرين. وساعدني سريري في القرع على الطبل. والآن ما العمل؟ كيف لي أن أقطع ذلك الجذع السميك إلى نصفين بفأس من الشمع؟».

في الليل ركب سريره ومضى لمقابلة الأميرة. قال لها: «غداً، سيقتلني أبوك».

«لماذا؟».

«طلب مني قطع جذع شجرة سميك بفأس من الشمع. كيف لي أن أفعل ذلك؟».

ردت الأميرة «لا تخف، افعل كما أقول لك، وستقطعه إلى نصفين بسهولة تامة».

استلت شعرة من رأسها وأعطتها للأمير. وقالت «غداً، عندما لا يكون أحد قريباً منك، قل لجذع الشجرة: «تأمرك الأميرة لابام بأن تنقسم نصفين بهذه الشعرة. ثم لف الشعرة حول حافة نصل الفأس الشمعية».

في اليوم التالي طبق الأمير بالضبط ما أوصته الأميرة به، وفي اللحظة التي لمست فيها الفأس جذع الشجرة انقسم قطعتين.

قال الملك: «بإمكانك الآن أن تتزوج ابنتي».

بعدها أقيم حفل الزفاف. ودعي إليه جميع أمراء وملوك البلاد المجاورة، وحصلت احتفالات بهيجة كبيرة. وبعد أيام قلائل قال ابن الأمير لزوجته: «فلنذهب إلى بلاد أبي».

أعطاهما والد الأميرة لابام عدداً من الجمال والخيول والأموال والخدم. ورحلا في موكب مهيب إلى بلاد الأمير، حيث عاشا سعيدين.

وظل الأمير محتفظاً بكيسه وطاسه وسريره، لكنه لم يضطر يوماً لاستعمال عصاه.

حكاية الحمل الصغير (لامبيكين)

كان يا مكان، كان هناك حمل صغير يدعى لامبيكين، يمرح ويلهو قافزاً على قائمتيه الصغيرتين الضعيفتين مستمتعاً باللعب كأحسن ما تكون المتعة.

وفي أحد الأيام انطلق لزيارة جدته، وكان يتقافز مرحاً وهو يفكر بكل الأشياء الطيبة التي سيحصل عليها من جدته، وإذا به يلتقي بابن آوى الذي نظر إلى المخلوق الرقيق والصغير وقال له: «لامبيكين، ! لامبيكين، سآكلك ! ».

لم يبدر عن لامبيكين الصغير سوى حركة مرحة بسيطة وقال:

«ذاهب إلى بيت جدتي

حيث سأغدو أسمن

وعندئذ ستستمتع بأكلي أكثر».

وجد ابن آوى كلامه معقولاً، فتركه يمر.

وبعد ذلك بوقت قصير، التقى نسراً. فقال النسر وهو يتأمل بجشع تلك اللقمة السائغة الطرية الواقفة أمامه: «لامبيكين! لامبيكين، سآكلك».

لم يبدر عن لامبيكين الصغير سوى حركة مرحة بسيطة، وقال:

«ذاهب إلى بيت جدتي

حيث سأغدو أسمن

وعندئذ ستستمتع بأكلي أكثر».

وجد النسر كلامه معقولاً، فتركه يمر.

وبعد ذلك بوقت قصير، التقى نمراً، ثم ذئباً وثم عقاباً، وكل هذه الحيوانات قالت عندما شاهدت هذا الحمل الطري الصغير «لامبيكين، لامبيكين، سآكلك».

ولكل واحد منهم قال الحمل الصغير، وبحركة مرح خفيفة:

«ذاهب إلى بيت جدتي

حيث سأغدو أسمن

وعندئذ ستستمتع بأكلي أكثر».

أخيراً وصل إلى بيت جدته، وقال، وبسرعة كبيرة: «جدتي العزيزة، وعدت بأن أسمن كثيراً، ولأن على الناس احترام وعودهم، أرجوك ضعيني في صندوق الذرة فوراً».

وقالت جدته إنك ولد طيب، ووضعته في صندوق الذرة، وهناك بقي الحمل الصغير الجشع لسبعة أيام، وراح يأكل ويأكل ويأكل حتى لم يعد قادراً على المشي وقالت له جدته إنه صار سميناً بحيث لن يستطيع استيعاب المزيد من الذرة، وعليه أن يقفل راجعاً إلى البيت. لكن الحمل الصغير الماكر قال إنه لن يعود البتة، لأن أحد الحيوانات سيأكله بالتأكيد في طريق عودته، بعد أن صار ممتلئاً وسميناً.

قال المعلم لاميكين: «سأقول لك ما يتوجب عليك فعله، عليك أن تصنعي طبلاً من جلد أخي الصغير الذي مات، عندها أدخل فيه برشاقة، ذلك أني أشعر وكأني طبل قوي مشدود».

صنعت له جدته غلافاً طبلي الشكل من جلد أخيه وحشته بالصوف من الداخل، وقام الحمل الصغير بالتسلل ملتفاً ينعم بالدفء في قلب الطبل، وراح يتدحرج خارجاً بمرح. وسرعان

ما التقى العقاب الذي نادى عليه:

«يا ذي الجلد الطبلي

هل رأيت الحمل الصغير؟».

رد، المعلم لاميكين، وهو ملتف بعشه الدافئ الناعم:

«لقد سقط في النار، كما ستسقط أنت

على طبل صغير، تم - با، تم - توا».

قال العقاب: «يا له من صوت مزعج»، وهو يتذكر بأسى ذلك الحمل الطري الذي تركه يفلت من يديه.

وراح الحمل الصغير يتدحرج، ضاحكاً في سرّه، مردداً الإيقاع:

تم - با - توم - تا

تم - با - توم - تا

سأله كل مفترس وجارح التقاه السؤال نفسه:

«يا ذي الجلد الطبلي

هل رأيت الحمل الصغير؟».

وردّ الحمل الماكر على كل واحد منهم:

«سقط في النار، وستسقط أنت

على طبل صغير، تم - با، توم - تو،

تم - با، توم - تو، تم - با، توم تو!».

عندها تحسّر الجميع وهم يفكرون كيف أفلت الحمل الصغير من أيديهم.

أخيراً وصل ابن آوى ماشياً باضطراب وبدت نظراته الحزينة حادّة حدة السيف، ثم راح ينادي:

«يا ذي الجلد الطبلي

هل رأيت الحمل الصغير؟».

رد الحمل بمرح، وهو يلتف داخل عشه الدافئ الصغير:

«سقط في النار، وستسقط أنت

على الطبل الصغير، توم - با ....».

ولكنه لم يواصل الغناء، ذلك أن ابن آوى ميز صوته في الحال، وصرخ قائلاً: «أهلاً أهلاً، لقد قلبت نفسك رأساً على عقب، أليس كذلك؟».

اخرج اخرج!

عندها مزّق ابن آوى الغلاف الجلدي وافترس الحمل الصغير.

الساحر بنشكين

في ماضي الزمان كـان هناك أمـير، وأب لسبع أمـيرات جميلات. كن جميعاً فتيات طيبات، لكن الصغرى، واسمها بالنا، كانت الأذكى من البقية. توفيت أمهن في صغرهن ولذلك بقيت الأميرات المسكينات من دون أم ترعاهنّ.

تولّت بنات الراجا بالدور مهمة طبخ عشاء والدهن كل يوم، في أثناء غيابه، وهو يتداول مع وزرائه في شؤون الدولة.

وفي هذا الوقت توفي الوزير(برادهان)، تاركاً أرملة وبنت. وفي كل يـوم، عندما كانت الأمـيرات السبع يحضرن طعام والدهن، كانت أرملة الوزير وابنتها تأتيان وتشحذان قبساً من نار الموقد.

وكانت بالنا تقول لأخواتها: «اطردن تلك المرأة، لم لا تحصل على نار في منزلها. ما الذي تريده من نارنا؟ لو سمحنا لها بالدخول إلى هنا، فسنعاني جراء ذلك يوماً ما».

لكن بقية أخواتها كن يجبن: «اهدئي، يا بالنا، لماذا تتشاجرين دائماً مع هذه المرأة البائسة؟ دعيها تأخذ قبساً من النار إذا ما أرادت». عندها، كانت الأرملة تذهب إلى الموقد وتأخذ بضعة أعواد منها، وعندما لم يكن أحد يراقبها، كانت ترمي وبسرعة حفنة من الطين وسط الأطباق التي تحتوي على عشاء الراجا.

كان الراجا مولعاً ببناته. ومنذ وفاة والدتهن كن يطبخن عشائه بأيديهن، لتجنب خطر تعرضه للتسمم من قبل أعدائه. لذلك، فعندما عثر على الطين ممزوجاً بطعامه، اعتقد أن الأمر ناتج عن إهمالهن حيث لم يكن هناك احتمال بأن يتقصد أحدهم وضع الطين هناك، ولأنه والد عطوف لم يرغب في لومهن على ذلك، رغم تكرار تلف «الكاري» لأيام متتالية.

وأخيراً، وفي أحد الأيام، قرر أن يختبئ، ويراقب بناته في أثناء الطبخ، ليرى كيف تجري الأمور. لذا دخل الغرفة المجاورة، وراح يراقبهن من خلال ثقب في الجدار.

هناك، شاهد بناته السبع وهن يغسلن الأرز بعناية ويحضرن طبق «الكاري» وبعد الانتهاء من كل طبق، كن يضعنه قرب النار، ليجهز للطبخ، ثم رأى زوجة الوزير وهي تصل إلى الباب وتطلب بعض الحطب لتطبخ طعامها، وكانت بالنا تردها غاضبة

وتقول: «لم لا تحتفظين بالوقود في بيتك، بدلاً من أن تأتي إلى هنا كل يوم وتأخذي من وقودنا؟. أخواتي، لا تعطين هذه المرأة المزيد من الحطب، دعوها تشتريه لنفسها؟».

عندها أجابت الأخت الكبرى: «بالنا، دعي المرأة المسكينة تأخذ الحطب والنار، فهي لا تمسسنا بسوء»، لكن بالنا ردت بالقول: «إذا ما سمحتن لها بالدخول هنا مراراً، ربما ستلحق بنا الأذى، وتجعلنا نأسف على ذلك يوماً ما».

ثم رأى الراجا أرملة الوزير وهي تذهب إلى المكان الذي يعد فيه عشاؤه بطريقة لطيفة، وبينما تأخذ الحطب، قامت برمي كمية صغيرة من الطين في كل طبق من الأطباق.

عندها غضب الراجا غضباً شديداً، وأمر بإلقاء القبض على المرأة وجلبها أمامه. ولكن حين حضرت الأرملة، أخبرته أنها لعبت تلك الحيلة لأنها أرادت أن تستقطب اهتمامه وأن تتحدث معه. وتحدثت بكل ذكاء وفتنته بحديثها وبكلامها المعسول فتزوج منها وانتقلت وابنتها لتعيشان في القصر.

وكانت الملكة الجديدة تكره الأميرات السبع وتريد التخلص منهن إن أمكن، لكي تستحوذ ابنتها على كل ممتلكاتهن، وتعيش في

القصر أميرة بدلاً منهن، وبدلاً من أن ترد لهن الجميل على عطفهن عليها فعلت كل ما في وسعها لتحيل حياتهن إلى شقاء. فما عادت تقدم لهن من الزاد سوى كسرات من الخبز وقليل من الماء، فاستحالت حياة الأميرات المسكينات الصغيرات اللائي اعتدن على العيش الرغيد في مأكلهن وملبسهن طيلة حياتهن، إلى حياة بائسة شقية. فبدأن بزيارة قبر أمهن كل يوم والبكاء قائلات: «ألا ترين يا أمنا، مدى شقاء بناتك، وكيف جوعتهن زوجة أبيهن القاسية؟».

وفي أحد الأيام، وبينما كن يبكين وينشجن، فإذا بشجرة برتقال هندي جميلة تنمو خارجة من القبر، وقد امتلأت بحبات البرتقال الناضجة الطازجة، وأشبعن جوعهن بتناول شيء من الثمار ، وبعد ذلك، وفي كل يوم، وبدلاً من تناول الطعام السيء الذي كانت زوجة أبيهن تقدمه لهن، أخذن بالخروج إلى قبر أمهن وتناول ثمار البرتقال من تلك الشجرة الجميلة.

ثم قالت زوجة الأمير لابنتها: «لا أفهم كيف يحدث ذلك، هؤلاء البنات السبع لا يرغبن في أي عشاء، ولا يأكلن شيئاً، ومع ذلك لم ينحفن ولم يظهر عليهن المرض. بل يبدين بحال أفضل، أنا لا أفهم ذلك». وأمرت ابنتها بمراقبة الأميرات السبع لترى إن كان أحدهم يعطيهن ما يأكلنه.

وفي اليوم التالي، وعندما خرجت الأميرات إلى قبر أمهن، ورحن يأكلن ثمار البرتقال الهندي اللذيذة، تبعتهن ابنة الأرملة وشاهدتهن يجمعن الفاكهة.

قالت بالنا لأخواتها: «ألا ترين تلك الفتاة وهي تراقبنا؟ دعونا نبعدها، أو نخفي الثمار عنها، وإلا ستذهب وتبلغ أمها بكل ما شاهدته، وهذا سيكون سيئاً جداً علينا».

لكن الأخوات الأخريات قلن: «كلا، لا تكوني قاسية يا بالنا. فالفتاة لا يمكن أن تكون بهذا الخبث حتى تخبر أمها. وبدلاً من ذلك دعونا ندعوها لتتناول شيئاً من الفاكهة». وبعد أن دعونها، أعطينها حبة من البرتقال.

وما إن تناولتها، حتى ذهبت ابنة البردوان إلى البيت وقالت لأمها: «لا أعجب أن لا تأكل الأميرات السبع الطعام الذي تحضرينه لهن، فبالقرب من قبر أمهن تنمو شجرة برتقال هندي جميلة، يذهبن إليها كل يوم ويأكلن الثمار. أكلت واحدة منها، وقد كانت أطيب فاكهة تذوقتها في حياتي».

امتعضت الملكة كثيراً من سماع ذلك، وطوال اليوم التالي بقيت في غرفتها، وأخبرت الراجا أنها تعاني من صداع شديد.

حزن الراجا كثيراً وقال لزوجته: «ما الذي أستطيع أن أفعله لك؟». فردت عليه: «هناك شيء واحد فقط سيخفّف من هذا الصداع. هناك قرب قبر زوجتك تنمو شجرة برتقال هندي جميلة، عليك أن تجلبها من هناك وتغليها، بجذورها وأغصانها، وتضع قليلاً من الماء الذي غليت فيه على جبهتي، هذا هو علاج صداعي». أرسل الراجا خدمه، وأمر بقلع الشجرة من جذورها، كما رغبت الراني (الملكة)، وبعد أن وضع شيء من الماء الذي غليت فيه الشجرة على جبهتها، قالت إن صداعها قد انتهى وشعرت بالتحسن.

وفي اليوم التالي، خرجت الأميرات السبع كالعادة إلى قبر أمهن، فوجدن أن شجرة الليمون الهندي قد اختفت. وبدأن جميعاً بالبكاء بمرارة.

وكان هناك حوض صغير على مقربة من قبر الملكة الميتة، وفيما كن يبكين رأين أن الحوض امتلأ بمادة غنية تشبه القشطة، الذي تصلّب بسرعة ليصبح كعكة بيضاء سميكة. وبعد أن شاهدن هذا، فرحت الأميرات السبع كثيراً، وأكلن من الكعكة وأحببنها، وتكرّر ذلك في اليوم التالي، وهكذا استمر الحال على هذا المنوال لأيام عديدة. كانت الأميرات يذهبن كل صباح إلى

قبر أمهن، ويجدن الحوض الصغير مليئاً بالكعكة المغذية التي تشبه القشطة. ثم قالت زوجة الأب القاسية لابنتها: «لا أفهم كيف يحدث ذلك، لقد أمرت باقتلاع شجرة البرتقال التي كانت تنمو عند قبر الملكة الراحلة، ومع ذلك، لا يبدو الوهن على الأميرات، ولا يبدين أكثر حزناً، رغم أنهن لا يأكلن الطعام الذي أقدمه لهن، أنا لا أفهم».

فقالت ابنتها: «سأراقبهن».

وفي اليوم التالي، وبينما كانت الأميرات يأكلن الكعكة، ظهرت ابنة زوجة الأب. فرأتها بالنا أولاً، وقالت: «لاحظن، يا أخواتي، ها هي الفتاة تعود مرة أخرى، دعونا نجلس حول حافة الحوض ولا نسمح لها برؤيته، لأننا إذا ما أعطيناها شيئاً من الكعك، ستذهب وتقول لأمها، وهذا سيكون من سوء حظنا».

إلا أن أخواتها لم يجدن مبرراً لشكوك أختهن وبدلاً من اتباع نصيحتها، أعطين لابنة البرودان، قطعة من الكعكة، فعادت إلى البيت وأخبرت أمها بما رأته.

وبعد أن علمت الملكة برفاهية الأميرات، انتابها غضب شديد، وأرسلت خدمها لهدم قبر الملكة الراحلة وملء الحوض

الصغير بالقامة، ولم تكتف بذلك، بل تظاهرت في اليوم التالي بالمرض الشديد، وبأنها أوشكت على الموت، فشعر الراجا بحزن شديد، وسألها إن كان بمستطاعه أن يوفر لها أي علاج، فقالت له: «هناك شيء واحد لا غير يمكن أن ينقذ حياتي، ولكنني أعلم أنك لن تفعلها». فأجاب: «بلى سأفعل كل ما تطلبين». ثم قالت: «لكي تنقذ حياتي، يجب أن تقتل بناتك السبع من زوجتك الأولى، وتضع شيئاً من دمائهن على جبهتي وراحتيّ وسيكون موتهن حياة لي». عند سماعه هذه الكلمات، انتاب الراجا حزن شديد، ولأنه خشي أن لا يفي بوعده، خرج محزوناً باحثاً عن بناته، فوجدهن يبكين عند حطام قبر والدتهن.

عندها، وبسبب عجزه عن قتلهن، تحدث الراجا بلطف إلى بناته وطلب إليهن أن يمضين إلى الغابة معه، وهناك أشعل ناراً وطبخ أرزاً، وقدمه لهن. وبعد الظهر، وبسبب حرارة الجو الشديدة، غطت الأميرات السبع في النوم، وعندما رأى أنهن نمن بسرعة، ابتعد والدهن، الراجا، خلسة وتركهن (لأنه كان يخاف من زوجته) وقال لنفسه: «من الأفضل أن يمتن هنا بدلاً من أن يقتلن على يد زوجة أبيهن».

ثم اصطاد غزالاً، وفي أثناء عودته إلى البيت، وضع بعض

الدم على جبهة الملكة ويديها، وظناً منها أنه قتل الأميرات فعلاً، قالت إنها شعرت بالتحسن تماماً.

وفي الوقت نفسه استيقظت الأميرات، وعندما وجدن أنفسهن وحيدات تماماً في الغابة الواسعة، انتابهن خوف شديد، ورحن ينادين بأعلى أصواتهن على أمل أن يسمعهن أبوهن. لكنه كان بعيداً جداً، ولم يعد بإمكانه سماع أصواتهن حتى لو كانت بقوة الرعد.

وتصادف في اليوم نفسه ذهاب سبعة شبان هم أبناء أحد أمراء منطقة مجاورة في رحلة صيد إلى تلك الغابة، وفي أثناء عودتهم إلى البيت وبعد انتهاء رحلة الصيد لذلك اليوم، قال أصغر الأمراء لإخوته: «توقفوا، أعتقد أني أسمع صوت أحدهم يبكي وينادي. ألا تسمعون؟ فلنذهب ، ونتبيّن ماهية هذا الصوت».

ركب الأمراء السبعة خيولهم وشقوا طريقهم في الغابة حتى وصلوا إلى حيث جلست الأميرات السبع ينتحبن. ذهل الأمراء عند مشاهدتهن وزادت دهشتهم عندما علموا بقصتهن، وتوصلوا إلى قرار مفاده أن يتزوج كل واحد منهم واحدة من هؤلاء الفتيات المسكينات المنسيات ويأخذها إلى بيته.

وهكذا أخذ الأمير الأكبر الأميرة الأكبر إلى بيته وتزوج بها.

والثاني من الثانية.

والثالث من الثالثة.

والرابع مع الرابعة.

والخامس من الخامسة.

والسادس من السادسة.

وتزوج السابع، وهو الأوسم من كل الأمـراء من «بالنا» الجميلة.

وعندما عادوا إلى موطنهم أقيمت أفراح كبيرة عمّت أرجاء المملكة بمناسبة زواج الأمراء من الأميرات الجميلات السبع.

وبعد زهاء عام رزقت «بالنا» طفلاً، وقد فتن به أعمامه وخالاته وأحاطوه برعايتهم حتى كأنه كان له سبعة آباء وسبع أمهات. ولم يرزق أي من الأمراء والأميرات الآخرين والأخريات بأي أطفال، لذلك أقر الجميع بأن ابن الأمير السابع وزوجته «بالنا» هو وريثهم.

وهكذا عاشوا في سعادة لفترة من الزمن، وفي أحد الأيام الجميلة قال الأمير السابع إنه ذاهب إلى الصيد، ثم انتظروه طويلاً، لكنه لم يعد أبداً.

وقال إخوته الستة إنهم ذاهبون لكي يروا ما حل به، ورحلوا، ولم يعودوا هم كذلك.

حزنت الأميرات السبع كثيراً، لأنهن خشين أن يكون أزواجهن قد قتلوا.

وفي أحد الأيام، ولم يكن قد مضى وقت طويل على ذلك، كانت «بالنا» تهز مهد طفلها، بينما أخواتها يعملن في الغرفة في الطابق الأرضي، وصل إلى بوابة القصر رجل يرتدي ملابس سوداء طويلة، وقال إنه درويش زاهد جاء مستجدياً. قال له الخدم: «لا تستطيع الدخول إلى القصر فقد خرج أبناء الراجا كلهم، ونعتقد أنهم في عداد الموتى، ولا يمكن الدخول على أراملهم طالباً منهن المساعدة». ولكنه قال: «أنا رجل مبروك، يجب أن تسمحوا لي بالدخول». فسمح له الخدم الأغبياء بالدخول إلى القصر، ولم يعرفوا أنه لم يكن من النساك بل ساحر شرير اسمه بنتشكن.

تجول تنتشكن الفقير في أرجاء القصر وشاهد الكثير من الأشياء الجميلة هناك، وأخيراً وصل إلى الغرفة التي كانت «بالنا» تجلس فيها تهدهد ولدها الصغير. وجد الساحر أنها أجمل امرأة رآها في حياته، فطلب منها أن ترحل معه وتصبح زوجته، لكنها قالت: «أخشى أن زوجي قد مات، ولكن ابني ما زال صغيراً، فأنوي البقاء هنا وتربية ابني حتى يكبر ويصير رجلاً ذكياً، وعندئذ سيخرج إلى العالم، ويحاول أن يستعلم عن أخبار أبيه. أعوذ بالله أن أتخلى عنه أو أن أتزوج منك». غضب الساحر غضباً شديداً من كلامها هذا، فحوّلها إلى كلب صغير أسود، وقادها إلى الخارج قائلاً: «ما دمت قد رفضت المجيء معي بمحض إرادتك، فسأجبرك على ذلك». وهكذا سحبت الأميرة المسكينة دون قدرة على الفكاك من العجوز. وحين مرّ بنشكين من بوابة القصر قال له الخدم: «من أين جئت بهذا الجرو اللطيف؟»، فرد عليهم: «أهدتني إياه إحدى الأميرات». وعند سماعهم ذلك سمحوا له بالمرور من دون طرح المزيد من الأسئلة.

وبعد ذلك مباشرة، سمعت الأميرات الست بكاء ابن أختهن، وعندما صعدن إلى الطابق الأعلى، ذهلن لرؤيته وحيداً، ولم تكن «بالنا» على مقربة منه، ثم سألن الخدم، وعندما سمعن

عن الدرويش والجرو الأسود، أدركن ما حدث، وأرسلن الخدم في كل اتجاه بحثاً عنهما، ولكن لم يتم العثور على الدرويش ولا على الكلب. ما الذي يسع ست نساء مسكينات فعله؟

فقدن كل الأمل في إمكانية رؤية أزواجهن الطيبين وشقيقتهن وزوجها مرة أخرى، وكرسن أنفسهن منذ تلك اللحظة فصاعداً لرعاية ابن أختهن وتعليمه.

ومرّت الأيام، حتى بلغ ابن «بالنا» سن الرابعة عشرة. وفي أحد الأيام، أخبرته خالاته بتاريخ أسرته، وما كاد يسمع بذلك حتى تملكته رغبة جامحة للذهاب بحثاً عن أبيه وأمه وأعمامه، قائلاً إنه إذا ما نجح في العثور عليهم أحياء، فسيعيدهم إلى الديار مرة أخرى. حاولت خالاته الهلعات ثنيه عن عزمه، قائلات: «لقد فقدنا أزواجنا وشقيقتنا وزوجها، وأنت الآن أملنا الوحيد، فإذا ما ذهبت، ما الذي سنفعله؟». ولكنه رد قائلاً: «أتوسل إليكن ألا تثنينني عن ذلك، سأعود قريباً، وإذا أمكن، سأعود بأبي وأمي وأعمامي».

وهكذا، شرع برحلاته، ولكنه لم يستطع طوال أشهر معرفة شيء يساعده في بحثه.

أخيراً، بعد أن قطع مئات الأميال، وكاد أن يقطع الأمل في سماع أي شيء عن أبويه وأعمامه، وصل إلى بلد مليء بالصخور والأحجار والأشجار، وهناك شاهد قصراً كبيراً له برج مرتفع، وخلفه كوخ صغير تسكنه زوجة البستاني، وعندما كان يتطلع من حوله، رأته زوجة البستاني فهرعت نحوه قائلة: «يا ولدي، من أنت لتجرؤ على المغامرة في الدخول إلى هذا المكان؟».

فأجاب «أنا ابن أمير، وأنا أبحث عن أبي وأعمامي، وعن أمي التي سحرها ساحر شرير».

ثم قالت زوجة البستاني: «هذا البلد وهذا القصر يعودان لساحر كبير متجبّر، وإذا ما أزعجه أي إنسان، يستطيع أن يحوله إلى حجر وأشجار. فكل الصخور والأشجار التي تراها هنا كانت بشراً في وقت ما، وحوّلهم الساحر إلى ما تراهم عليه الآن. مرة جاء أحد أبناء الأمراء، وبعد ذلك بوقت قصير وصل إخوته الستة، وحوّلهم جميعاً إلى صخور وأشجار، وهم ليسوا الوحيدين غير المحظوظين، إذ تعيش هناك أميرة جميلة، حبسها الساحر منذ اثني عشر عاماً، لأنها تكرهه ورفضت الزواج منه».

فكر الأمير الصغير: «لابدّ من أن هؤلاء هم والداي وأعمامي، أخيراً وجدت ما أبحث عنه». سرد قصته لزوجة البستاني ورجاها أن تساعده في البقاء في ذلك المكان لفترة من الزمن، لكي يستقصي أكثر عن أولئك الناس الذين ذكرتهم. وعدته بأن تساعده قدر ما تستطيع، ونصحته بأن يتخفى عن أنظار الساحر، حتى لا يحوّله إلى حجر أو شجر بالطريقة نفسها. وافق الأمير على ذلك. فألبسته زوجة البستاني «ساري» وقالت له أن يتظاهر بأنه ابنتها.

في أحد الأيام، وبعد فترة ليست بالقصيرة، وفي أثناء تجوال الساحر في حديقته، رأى الفتاة الصغيرة (كما اعتقدَ) تلعب من حوله وسألها عمن تكون. فقالت له إنها ابنة البستانيّ. قال الساحر: «أنت فتاة صغيرة وجميلة، وغداً ستأخذين باقة من الزهور هدية مني إلى السيدة الجميلة التي تعيش في البرج».

سُرَّ الأمير الشاب كثيراً بذلك، وذهب على الفور لإبلاغ زوجة البستاني، وبعد التشاور معها قرر أنه سيكون أكثر أماناً له لو بقي متخفياً وانتظر فرصة سانحة لإقامة نوع من التواصل مع والدته، إن كانت هي والدته بالفعل.

حدث أن زوج بالنا كان قد منحها عند زواجها، خاتماً ذهبياً صغيراً حفر عليه اسمها، وكانت قد وضعت الخاتم في خنصر ابنها عندما كان طفلاً، وبعد أن كبر، طلبت خالته أن يتم تكبيره بحيث تمكن من لبسه في يده. فنصحته زوجة البستاني بأن يربط ذلك الخاتم بإحدى باقات الورد التي سيقدمها لأمه، ويترك لها أمر تمييزه.

وما كان ذلك بالأمر الهيّن، لأن هناك مراقبة شديدة مفروضة على الأميرة المسكينة (خشية أن تتوصل مع أحد)، رغم السماح لابنة البستاني المزعومة بنقل الزهور إليها كل يوم، حيث يكون الساحر أو أحد عبيده موجوداً دائماً في الغرفة في ذلك الوقت. وأخيراً، وفي أحد الأيام، توافرت له الفرصة، حين لم يكن أحد يراقبه، ربط الولد الخاتم بباقة ورد صغيرة ورماها عند قدمي «بالنا».

سقط الخاتم مقرقعاً على الأرض، ووجدت «بالنا»، وهي تبحث عما أحدث ذلك الصوت الغريب، الخاتم الصغير مربوطاً بباقة الزهور، فعرفته فوراً، وصدقت القصة التي أخبرها بها الفتى عن بحثه الطويل وتوسلت إليه أن ينصحها بما يجب عليها فعله. وفي ذات الوقت توسلت إليه لا يخاطر بأي حال من الأحوال بحياته وهو يحاول إنقاذها. أخبرته أن الساحر حبسها طيلة اثني

عشر عاماً في البرج لأنها رفضت الزواج منه، وأنها خاضعة لحراسة مشددة بحيث لم تعد ترى أملاً في التحرر من حبسها.

كان ابن «بالنا» ولداً ذكياً لماحاً، وقال «لا تقلقي يا أمي العزيزة، أول ما يجب أن نعرفه هو طول عمر قوته السحرية لكي نتمكن من تحرير أبي وأعمامي الذين حبسهم في شكل صخور وأشجار. لقد كنت طوال الاثنتي عشرة سنة الماضية تتحدّثين إليه بغضب، والآن أطلب منك أن تكلميه بلطف. قولي له إنك تخليت عن كل آمالك في رؤية الزوج الذي طالما حزنت عليه، وإنك مستعدة للزواج منه. ثم حاولي اكتشاف ممّ تتكون قواه وإن كان من الخالدين أم ممن يمكن أن تنتهي حياتهم بالموت».

قررت «بالنا» أن تأخذ بنصيحة ابنها، وفي اليوم التالي أرسلت في طلب بنشكين، وتكلمت معه كما طلب منها ولدها.

سُرَّ الساحر كثيراً وتوسل إليها أن يعقد الزفاف بأسرع وقت ممكن.

قالت له إنه قبل أن تتزوج منه لابد أن يمنحها بعض الوقت لكي تتعرف عليه أكثر، فبعد العداء المتمادي بينهما لن تتحسّن علاقتهما إلا بالتدريج.

ثم قالت: «أرجوك أخبرني أأنت مخلوق خالد؟ ألا يطاولك الموت؟ وهل أنت ساحر كبير إلى درجة أنك لا تعاني مما يعانيه البشر؟».

ردّ عليها متسائلاً: «لمَ تسألين؟».

قالت: «لأنني إذا أصبحت زوجتك، أريد أن أعرف كل شيء عنك، لكي أتمكن على الأقل من تجنّب أي كارثة قد تحدق بك».

فقال: «هذا صحيح، أنا لست كالآخرين. هناك على بعد مئات آلاف الأميال، بلد مهجور تغطيه غابة كثيفة ووسط الغابة تنمو حلقة من أشجار النخيل وفي وسط الحلقة ثمة ستة أحواض مليئة بالماء مكدسة فوق بعضها بعض، وتحت الحوض السادس، ثمة قفص صغير فيه ببغاء أخضر صغيراً. وعلى حياة الببغاء تقوم حياتي، فإذا ما قتل الببغاء انتهت حياتي. ومع ذلك فمن المستحيل أن يصاب البيغاء بجرح، أولاً بسبب عدم إمكانية الوصول إلى ذلك البلد، وثانياً لأنني وضعت لحراسته آلاف الجن الذين يحيطون بأشجار النخيل، والذين يقتلون كل من يحاول الاقتراب من المكان».

أخبرت «بالنا» ولدها بما ذكره الساحر، لكنها توسلت إليه أن يتخلى عن فكرة الوصول إلى الببغاء.

لكن الأمير رد قائلاً: «أمي، ما لم أقتل ذلك البغاء، لا يمكن تحريرك وأبي وأعمامي من الأسر، لا تخافي، سأعود سريعاً، وفي الأثناء حافظي على علاقتك مع الساحر وواصلي تأجيل زواجك منه بحجج مختلفة. وقبل أن يكتشف سبب التأخير، سأكون قد وصلت».

بعد أن قال ذلك، انطلق مغادراً. وقطع أميالاً وأميالاً حتى وصل أخيراً إلى غابة كثيفة، وبسبب ما ناله من التعب، استلقى تحت شجرة ونام، ليصحو بعد حين على صوت فحيح خفيف، وحين نظر من حوله، شاهد أفعى كبيرة تشق طريقها إلى عش نسر أعلى الشجرة التي كان يرقد تحتها، وفي العش كان هناك فرخان صغيران. وبعد أن شاهد الأمير الخطر المحدق بالطائرين الصغيرين، استل سيفه وقتل الأفعى. وإذا به يسمع جلبة في الهواء، وحين نظر رأى النسرين الكبيرين وقد عادا إلى فرخيهما بالطعام. وسرعان ما شاهدا الأفعى الميتة والأمير الشاب يقف فوقها، فقالت أم النسرين: «يا ولدي العزيز، لسنوات ظلت تلك الأفعى الشريرة تبتلع صغارنا وها أنت الآن قد خلصتنا منها

وأنقذت حياة صغيرينا، فإذا ما احتجت في أي وقت لمساعدتنا ما عليك سوى أن ترسل في طلبنا وسنأتي فوراً، أما هذان الصغيران فخذهما واجعلهما خادمين لك».

سعد الأمير بهذه المساعدة، وفرد النسران الصغيران أجنحتهما، وحملا الأمير بعيداً فوق الأشجار الكثيفة حتى وصل إلى البقعة التي نمت فيها أشجار النخيل، ورأى في وسطها الأحواض المليئة بالمياه. كان النهار قد انتصف، وصار الجو حاراً جداً، وانتشر الجنّ نائمين حول الأشجار. كانوا بالآلاف، فيستحيل تماماً على أي شخص اختراق صفوفهم.

هبط النسران الصغيران القويان وقفز الأمير عن أجنحتهما وفي لحظة قلب أحواض الماء الستة، وأمسك بالببغاء الأخضر الصغير ولفه في عباءته، وبعد أن ارتفع في الهواء مرة أخرى، استيقظ الحراس الجن، وبعد أن اكتشفوا أن كنزهم قد فقد، أطلقوا صرخة غريبة مفعمة بالأسى.

حلق النسران الصغيران حتى وصلا إلى بيتهما في الشجرة الكبيرة، ثم قال الأمير للنسرين الكبيرين: «ها أنا ذا أعيد لكما صغيريكما، لقد أسديا لي خدمة جليلة، وإذا ما احتجت إلى

المساعدة، فلن أتردد في طلبهما منكما». ثم واصل رحلته مشياً حتى وصل مرة أخرى إلى قصر الساحر، حيث جلس عند الباب وبدأ باللعب مع الببغاء.

شاهده بنشكين وسارع إليه قائلاً: «يا ولـدي، من أين حصلت على هذا الببغاء؟ أعطني إياه، أرجوك».

لكن الأمير أجاب: «كلا، لا أستطيع أن أتخلى عن ببغائي، إنه طيري الحبيب، وقد قضى معي سنوات طويلة».

فقال الساحر: «إذا كان طائرك المفضل منذ زمن طويل، أتفهّم أنك لا تستطيع التخلي عنه بسهولة، ولكن، قل لي، بكم تبيعه؟».

ردّ الأمير: «سيدي، لن أبيع ببغائي».

شعر الساحر بالخوف وقال: «أعطيك أي شيء، أي شيء، قل أي سعر تريده، وسأدفعه لك».

رد الأمير: «حرر أبناء الأمير السبعة الذين حولتهم إلى صخور وأشجار على الفور».

قال الساحر: «اعتبر ذلك منتهياً، فقط أعد لي ببغائي». وبذلك، وبضربة من عصاه، أستعاد زوج «بالنا» وإخوته أشكالهم الطبيعية، ثم كرر بنشكين: «الآن، أعطني ببغائي».

«ليس بهذه السرعة، يا سيدي، أطلب أولاً أن تحرّر كل البشر الذين احتجزتهم».

حرك الساحر عصاه فوراً مرة أخرى، وبينما يصرخ مستجدياً «أعطني ببغائي!»عادت الحديقة بأكملها فجأة إلى الحياة، وحيث كانت الصخور والأحجار والأشجار، قفز الأمـراء والقادة والجند، والرجال الأشداء على ظهور خيولهم الوثابة، وغلمانهم المرصعون بالمجوهرات.

صاح الساحر: «أعطني ببغائي». أمسك الأمير بالببغاء ومزّق أحد جناحيه، فإذا بإحدى ذراعي الساحر تسقط أرضاً. فمدّ ذراعه الأخرى صارخاً: «أعطني ببغائي!».

فمزّق الأمير الجناح الثاني، ومعه سقطت ذراع الساحر الأخرى.

صرخ: «أعطني ببغائي». وخرّ على ركبتيه. فمزّق الأمير قائمة الببغاء اليمنى، ومعها سقطت رجل الساحر اليمنى، ثم خلع القائمة اليسرى، فانخلعت رجل الساحر اليسرى.

لم يبق منه شيء سوى الجذع المبتور الأطـراف والرأس. ولكنه واصل تدوير عينيه وصرخ: «أعطني ببغائي»، فصاح به الأمير: «خذ ببغاءك». وبقوله هذا فصل رقبة الطائر ورماها على الساحر، وما إن فعل بذلك، حتى دار رأس بنشكين قليلاً، وبصوت أنين مخيف، مات.

بعدها، أطلق سراح «بالنا» من البرج، وعادت وابنها والأمراء السبعة إلى موطنها، وعاشوا سعداء بعد ذلك إلى الأبد، ومعهم بقية العالم.

القدر المكسورة

عاش في مكان ما براهماني[1] يدعى سفابها فاكريانا، الذي يعني «بخيل بالولادة». وقد جمع عن طريق التسوّل بعض الأرز، وبعد أن تناول قليلاً منها، وضع ما تبقى في قدر علقها على وتد في الجدار فوق فراشه، وراح ينظر إليها طوال الليل، فتناهت إلى ذهنه فكرة: «تلك القدر طافحة بالأرز، فإذا حصلت مجاعة يمكنني بالتأكيد بيعها بمئة روبية، وبهذا المبلغ سأشتري زوجاً من الماعز، وستضعان كل ستة أشهر، وبذلك يصبح لدي قطيع من الماعز أبيعه وأشتري بثمنه بضع بقرات. وما إن تضع عجولها، أبيع العجول، وبثمنها أشتري بعض الجواميس، ثم أبيع صغارها وأشتري بعض المهور، وبعد أن تضع المهور، سيصبح لدي الكثير من الخيول، وعندما أبيعها سأحصل على كثير من الذهب الذي سأشتري به بيتاً بأربعة أجنحة. ثم يأتي أحد البراهمانيين لمنزلي، ويزوجني ابنته الجميلة ويعطيني مهراً كبيراً. وستلد لي

(1) البراهماني: أحد أفراد الطبقات الإجتماعية الأربع والأكثر رفعة في المجتمع الهندي، ويتولى مهمة تنفيذ الطقوس الدينية البوذية (م).

ولداً، أسميه «سوماسارمان»، وعندما يشتدّ عود الطفل بما فيه الكفاية ويصبح قادراً على اللعب على ركبتي، سأجلس في الجزء الخلفي من الإصطبل أقرأ كتاباً، وفي أثناء قراءة الكتاب، سيراني الصبي، ويقفز من حجر أمه، ويركض باتجاهي لألاعبه على ركبتي. وسيقترب من الحصان، وسأنادي على زوجتي وأنا أمور غضباً: «خذي الطفل، خذيه!»ولكنها، ولأنها ستكون مشغولة بالأعمال المنزلية، لن تسمعني. فأنهض، وأرفسها بقدمي».

وما إن قال البراهماني ذلك حتى رفس بقدمه وكسر القدر. فسقط كل الأرز على رأسه الذي تجلل بالبياض. ولذلك أقول: «من يضع خططاً حمقاء للمستقبل سيجلله البياض، مثل أبي سوماسارمان».

الكمان السحري

عاش في قديم الزمان سبعة إخوة وأختهم. وكانت هذه تتولى أعمال الطبخ، بينما تخرج زوجات الأخوة للعمل في الحقل. ولهذا السبب بتن حاقدات عليها، واجتمعن أخيراً عازمات على حرمانها من هذا الدور لكي تتولاه واحدة منهن. قلن: «هي لا تخرج إلى الحقول للعمل، وتبقى جالسة بهدوء في البيت، ورغم ذلك لا تحضّر الوجبات في الوقت المحدّد». ثم استدعين «البونجا»[1]، وتعهدن أمامه بالسرية والصمت لكي يضمنّ مساعدته لهن. قلن له: «عند منتصف النهار، عندما تخرج شقيقة أزواجنا لجلب الماء، نريدك أن تفعل التالي: عندما يرى الماء إبريقها، يختفي، ثم يعاود الظهور ببطء. وبهذه الطريقة ستتأخر. لا تدع الماء يتدفق إلى إبريقها وبإمكانك الاحتفاظ بالفتاة ملكاً لك».

(1) البونجا في الأساطير الهندية هي القوة التي تقف وراء الظواهر الغريبة في الطبيعة كالفيضانات والعواصف والأمطار... فهي قوة غامضة وغالباً ما ترتبط بالسحر، وبالتالي فإن من يمارس البونجا هو أو هي نوع من الساحر (م).

عند الظهر، وحين خرجت لجلب المـاء، جف فجأة أمام عينيها، فبدأت بالبكاء. ثم بدأ الماء بعد ذلك بالارتفاع ببطء. وعندما وصل منسوب الماء إلى كاحليها، حاولت ملء إبريقها، ولكن الابريق لم يدخل في الماء. فبدأت بالعويل والمناداة على أخيها:

«آه يا أخي الماء يصل إلى كاحلي

ولكن يا أخي إبريقي لا يمتلئ».

استمر مستوى الماء بالارتفاع حتى وصل إلى ركبتها، عندما بدأت بالنحيب مرة أخرى:

«آه يا أخي، الماء يصل إلى ركبتي

ولكن يا أخي، إبريقي لا يمتلئ».

واستمر مستوى الماء بالارتفاع حتى وصل إلى خصرها، وبكت مرة أخرى:

«آه يا أخي الماء يصل إلى خصري

ولكن يا أخي، إبريقي لا يمتلئ».

وواصل الماء الارتفاع، وحين وصل إلى رقبتها، واصلت النحيب:

«آه يا أخي، الماء يصل إلى رقبتي

لكن يا أخي إبريقي لا يمتلئ».

وأخيراً أصبح مستوى الماء عميقاً جداً بحيث شعرت بأنها تغرق، حينئذ صرخت بصوت عالٍ:

«آه يا أخي أصبح الماء بطول رجل

ولكن يا أخي، للتو بدأ الإبريق بالامتلاء».

امتلأ الإبريق بالماء، وغرقت هي معه.

حولها البونجا إلى بونجا تشبهه، وحملها خارج الماء.

بعد فترة عاودت الظهور في شكل نبات خيزران ينمو على حافة الحوض الذي غرقت فيه. وعندما نما الخيزران إلى حجم هائل، قال أحد الزهّاد (الجوجي) الذي اعتاد المرور في ذلك الطريق، وهو يرى الخيزران: «هذا الخيزران يصلح لصنع كمانٍ رائع».

وفي أحد الأيام جلب فأسه لقطع الخيزران.

ولكن ما كاد يشرع بذلك، حتى صرخت به نبتة الخيزران: «لا تقطع من الجذر، اقطع من مكان أعلى»، وعندما رفع فأسه ليقطع الساق، صرخت شجرة الخيزران «لا تقطع بالقرب من القمة، بل اقطع من الجذر». وعندما هيأ «الجوجي» نفسه مرة أخرى ليقطع من الجذر، كما طلبت إليه، قالت نبتة الخيزران: «لا تقطع من الجذر، اقطع من الجزء الأعلى»، وعندما أوشك أن يقطع من الجزء الأعلى، صرخت به مرة أخرى: «لا تقطع من الجزء الأعلى، اقطع من الجذر».

عندئذ شعر «الجوجي» أن ثمة «بونجا» تحاول إخافته، ولذلك وبسبب غضبه قطع نبتة الخيزران من الجذر، ثم أخذها وصنع منها كماناً. وكانت لهذا الكمان نغمة رائعة تأسر كل من يسمعها. وصار «الجوجي» يحملها معه كلما خرج للاستجداء، وبفعل تأثير موسيقاها العذبة صار يعود إلى البيت كل مساء وقد امتلأت جيوبه بالمال.

كان يقوم بين فترة وأخرى، في أثناء جولاته بزيارة منزل أشقاء فتاة «البونجا» وقد أثرت فيهم أوتار الكمان أيما تأثير. حتى أن بعضهم كان يبكي، لأن الكمان بدا وكأنه ينتحب نحيباً مرّ

كأنه واحد من بني البشر. وتمنى الأخ الأكبر أن يشتريه، وعرض على «الجوجي» مساعدته سنة كاملة لو وافق على الافتراق عن آلته المدهشة. إلا أن «الجوجي» كان يعرف قيمة كمانه ورفض بيعه. وتصادف أن ذهب مرة إلى بيت شيخ إحدى القرى، وبعد أن عزف مرة أو مرتين على كمانه، طلب شيئاً يأكله. عرضوا عليه شراء كمانه ووعدوه بسعرٍ عالٍ، لكنه رفض بيعه لأن كمانه صار مصدر رزقه. وعندما لاحظوا أنه لا يمكن إقناعه بالبيع، أعطوه طعاماً وكميات كبيرة من الشراب المسكر فشرب كثيراً حتى سكر، وعندئذ استبدلوا كمانه بكمانهم القديم. وعندما صحا «الجوجي»، افتقد كمانه، ولأنه شك أنه سرق منه طلب منهم أن يعيدوه إليه. فأنكروا أنهم أخذوه، واضطر أخيراً إلى المغادرة من دون كمانه. وأخذ ابن الشيخ، وهو عازف مقتدر، بالعزف على كمان «الجوجي»، فأسرت أنغامه كل من سمعها.

وعندما كان جميع أفراد العائلة غائبين منشغلين بأعمالهم في الحقول، كانت فتاة «البونجا» تخرج من كمان الخيزران وتحضر طعام العائلة، وبعد أن تتناول حصتها، تضع حصة ابن شيخ القرية تحت سريره، وبعد أن تغطيه من الغبار، تعود إلى الكمان. وبعد أن تكرر ذلك كل يوم، ظن أهل البيت أن إحدى الحبيبات

تريد إظهار اهتمامها بالشاب، بعملها هذا، ولذلك لم يتعبوا أنفسهم بمحاولة اكتشاف الطريقة التي جرت بها. إلا أن الشاب عزم على المراقبة ومعرفة أي من صديقاته هي التي تعنى براحته. قال في نفسه: «اليوم، سأمسك بها. وأضربها ضرباً مبرحاً، فهي تجعلني أشعر بالعار أمام الآخرين».

وهكذا، اختبأ في الزاوية وراء كومة من الحطب. وبعد قليل، خرجت الفتاة من كمان الخيزران وبدأت تصفّف شعرها. وبعد أن أكملت زينتها، قامت بطبخ وجبة الأرز كالمعتاد، وبعد أن أكلت شيئاً منها، وضعت - على جاري عادتها - حصة الشاب تحت سريره، وكانت على وشك الدخول إلى الكمان مرة أخرى، حين خرج الشاب من مخبئه، وأمسك بها. أخذت فتاة «البونجا» تصرخ به: «عار عليك! عار عليك؟ قد تكون واحداً من النبلاء أو ربما شيخاً أو من أي من هذه الطوائف المنغلقة، وبالتالي لا أستطيع الزواج منك».

فرد عليها: «كلا، كلا، منذ اليوم، أنا وأنت واحد».

وهكذا بدأ الاثنان يخوضاً حديثاً ساراً، وعندما عاد الآخرون إلى البيت في المساء، لاحظوا أن الفتاة هي كائن بشري وبونجا في آن واحد، وفرحوا كثيراً. وفي الوقت نفسه بدأت عائلة الفتاة البونجا تعاني الفقر المدقع، وفي إحدى المرات جاء إخوتها مرة إلى بيت الشيخ في زيارة.

عرفتهم الفتاة في الحال، ولكنهم لم يعرفوا من تكون. جلبت لهم الماء عند وصولهم.

وبعد ذلك قدمت لهم الأرز المطبوخ. وبعد أن جلست بالقرب منهم، بدأت تشدو بنغمات حزينة لتلومهم على سوء المعاملة التي تلقتها من زوجاتهم. وسردت عليهم كل ما حل بها واختتمت بالقول: «لابد من أنكم كنتم تعلمون بالأمر كله، لكنكم لم تتدخلوا لإنقاذي». وذاك كان انتقامها الوحيد.

طائر الكركي الفظ يخونه ذكاؤه

قبل زمن بعيد ولد البوديسات[1] ليعيش في الغابة كروح حارسة لشجرة تنمو قرب بحيرة من اللوتس.

في ذلك الوقت كان منسوب الماء يشح في موسم الجفاف في إحدى البحيرات التي كان يعيش فيها عدد كبير من الأسماك.

وحين شاهد أحد طيور الكركي السمك قال مفكراً مع نفسه: «يجب أن أخدع هذه الأسماك بطريقة أو بأخرى وأجعلها فريسة لي».

سرّ بخطته هذه ووقف على ضفة الماء مفكراً بطريقة للقيام بذلك.

وعندما رآه السمك، سألوه[2]: «ما الذي تفكّر فيه أيها الكركيّ؟».

(1) يجب ألا ننسى مبدأ التناسخ الموجودة في البوذية، وبالتالي فإن بوذا يولد مرة بعد مرة في أشكال متعددة (م).

(2) كما في الكثير من الحكايات الأسماك هنا كائنات ناطقة كالكركي وغيرها من الحيوانات أو النباتات ومن هنا أنسنتها لغة وجعلها تتكلم بصيغة العاقل (م).

رد: «إني أفكر بكم».

فقال السمك «آه، يا سيدي، بم تفكر بشأننا؟».

رد الكركي: «الماء شحيح في هذه البحيرة، وليس هناك الكثير مما تأكلونه، والحرارة شديدة هنا! هكذا كنت أفكر وأسأل نفسي: ترى ما الذي ستفعله هذه الأسماك المسكينة في مثل هذه الحالة؟».

قالت الأسماك: «صحيح، يا سيدي، ما الذي سنفعله؟».

«أعرض عليكم أن أحملكم بمنقاري إلى بحيرة كبيرة وجميلة، تغطيها كافة أنواع زهور اللوتس، وأضعكم فيها».

«أن يهتم كركي بالأسماك هو شيء لم نسمع به منذ أن خلق العالم. إن ما تسعى إليه هو أن تأكلنا الواحدة بعد الأخرى».

«لست أنا من يفعل ذلك، وإذا وضعتم ثقتكم بي فلن آكلكم. وإذا لم تصدقوا أن هناك مثل هذه البحيرة، فأرسلوا أحدكم معي ليرى البحيرة».

وثقت الأسماك به وسلمته واحدة من الأسماك الضخمة تعاني من ضعف في النظر، ظنوا أنها شديدة البأس في الملمات سواء في الماء أو على الشاطئ.

فأخذها الكركي معه، إلى البحيرة، وأراها إياها بالكامل، ثم أعادها إلى الأسماك الأخرى. فوصفت لجميع الأسماك مدى روعة البحيرة.

وعندما سمع السمك كل ما قالته ابنة جلدتهم، قالوا متعجبين: «حسناً يا سيدي، تستطيع أن تنقلنا إلى هناك».

أخذ الكركي أولاً السمكة العجوز الضعيفة البصر إلى ضفة البحيرة الأخرى، وحط على شجرة «فارنا» تنمو على الضفة. ثك رماها على شوكة من أشواك الشجرة وضربها بمنقاره، وقتلها. ثم أكل لحمها، ورمى بعظامها عند أسفل الشجرة. ثم عاد وهو ينادي: «لقد ألقيت بتلك السمكة في البحيرة، من دوره الآن».

وبتلك الطريقة أخذ كل الأسماك، واحدة بعد الأخرى وأكلهن، حتى عاد ولم يجد المزيد.

لكن بقي هناك سلطعون وظن طائر الكركي أن بإمكانه أن يأكله هو الآخر، فنادى عليه: «اسمع أيها السلطعون الطيب، لقد نقلت كل الأسماك من هنا ووضعتها في بحيرة كبيرة وجميلة. تعال لكي أنقلك أنت أيضاً».

«لكن كيف ستمسك بي لتنقلني تلك المسافة البعيدة؟».

«سأمسك بك بمنقاري».

«لكنني سأسقط لو حملتني هكذا، لن أذهب معك».

«لا تخف!، سأمسك بك بقوة طوال الطريق!».

قال السلطعون لنفسه: «إذا ما تمكن هذا من الإمساك بالسمك، فلا يمكن أن يكون قد أخذهن إلى البحيرة! والآن، لو وضعي حقاً في البحيرة، فسيكون ذلك أمراً عظيماً، وإن لم يفعل، فسأقطع رقبته، وأقتله!».

لذلك قال له السلطعون: «اسمع يا صديقي، لن تتمكن من الإمساك بي بقوة كافية، ولكننا، نحن معشر السلطعون نشتهر بشدة قبضتنا. فإذا ما سمحت لي بأن أتمسك بك من رقبتك، فسيسرني الذهاب معك».

لم يدرك الكركي أن السلطعون يحاول خداعه، فوافق. تشبّث السلطعون برقبته بقوة كلاّبي حداد وصاح، «انطلق الآن».

أخذه الكركي وأراه البحيرة ثم عاد متوجهاً نحو شجرة الفارنا.

قال له السلطعون: «يا عم! طريق البحيرة من هناك، وأنت تأخذني بهذا الاتجاه».

رد الكركيّ: «آه، صحيح، أليس كذلك، تناديني بعمك العزيز، أتقصد أني عبدك، الذي يتوجب عليه رفعك وحملك معه! والآن ألق نظرة على كومة عظام السمك الراقدة هناك أسفل شجرة الفارنا. ومثلما أكلت تلك السمكات، فسأبتلعك أنت الآخر كذلك».

أجابه السلطعون: «ها! لقد أكلت تلك السمكات بسبب غبائهن، لكني لن أدعك تأكلني. على العكس، بل أنت من سيقضي نحبه. ذلك أنك بحماقتك لم تفهم أني كنت أخدعك، فلو متنا، يجب أن نموت معاً، ذلك لأني سأقطع رأسك وأرميه على الأرض!». وما إن انتهى من كلامه، حتى شد على رقبة الكركي كأنه يمسك بها بملزمة.

راح الكركي يتوسل إليه وهو يشهق والدموع تنحدر من عينيه، مرتجفاً خشية الموت: «آه يا سيدي، أنا لم أنو أن آكلك حقاً. أرجوك وفّر حياتي!».

« حسناً، حسناً، اهبط إلى البحيرة، وضعني هناك».

استدار الكركي وهبط إلى البحيرة واضعاً السلطعون في الطين على ضفة البحيرة. إلا أن السلطعون قطع له رقبته بالطريقة نفسها التي تقطع بها سويقة زهرة اللوتس بسكين صيد، وبعد ذلك غاص في الماء!

وحين رأت الروح الحارسة التي كانت تعيش في شجرة الفارنا هذا الأمر الغريب، راحت ترتل وبصوت جميل، جاعلة الغابة تردد معها:

«لن يربح النذل الخسيس بنذالته،

قد يعينه دهاؤه على الفوز

كونه ماهراً في ضروب الخداع

لكن فوزه يشبه فوز هذا الكركي

على يد السلطعون».

«لايلي» العاشقة

كان يا مكان في قديم الزمان ملك يدعى «دينتال»، وكان يحوز مالاً كثيراً وجنداً وخيولاً. وكان له ولد وحيد اسمه الأمير «مجنون»[1]، وكان ولداً وسيماً ناصع الأسنان، مكتنز الشفتين، أزرق العينين، متورد الوجنتين، أحمر الشعر، أبيض البشرة. وكان هذا الولد مولعاً باللعب مع ابن الوزير، حسين محمد، في حديقة الملك «دينتال»، وهي حديقة كبيرة جداً، تعج بصنوف الفواكه اللذيذة والزهور والأشجار. وقد اعتاد الولدان أن يأخذا معهما سكينيهما الصغيرتين ويقطفا الفاكهة ويقشرنها ويأكلاها. وقد عين الملك لهما معلماً يعلمهما القراءة والكتابة.

وفي أحد الأيام، وبعد أن كبرا وأصبحا شابين وسيمين، قال الأمير «مجنون» لأبيه: «أنا وحسين محمد نرغب في الخروج إلى الصيد». فوافق والده، وقاما بتهيئة حصانيهما وكل ما يحتاجان

(1) هكذا في الأصل Majnoun (م).

إليه لرحلة الصيد وخرجا إلى بلاد الفالانا، يصطادان على امتداد طريقهما، ولكنهما لم يجدا سوى بنات آوى والطيور.

كان لأمير بلاد الفالانا، واسمه مونسوك راجا، ابنة اسمها «لايلي»، وهي فتاة جميلة جداً، عيناها عسليتان وشعرها أسود.

في إحدى الليالي، وقبل وصول الأمير «مجنون» إلى مملكة أبيها، وفي أثناء نومها أرسلت لها السماء ملاكاً في هيئة رجل وأخبرها بأن تتزوج من الأمير «مجنون» وليس من أي شخص آخر، وكان ذلك بمثابة أمر واجب الطاعة. وحين استيقظت «لايلي» من نومها أخبرت والدها بزيارة الملاك لها في أثناء نومها، لكن أباها لم يعر اهتماماً لقصتها، ومنذ ذلك الوقت بدأت تكرر مع نفسها «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً»، ولا تنطق بأي شيء آخر. وحتى عندما كانت تجلس إلى المائدة كانت تواصل القول «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً». وكان أبوها يغضب كثيراً منها، ويسألها «من هو هذا المجنون؟ ومن سمع به؟».

قالت «لايلي»: «إنه الرجل الذي سأتزوج منه، لقد أمرني الله ألا أتزوج من أي رجل سوى مجنون». وكادت أن تجن.

في ذلك الوقت وصل «مجنون» وحسين محمد إلى بلاد الفالانا، وفي أثناء تجوالهما على ظهري الحصانين، خرجت «لايلي» على حصانها تسابق الريح، وانطلقت وراءهما. وطوال الوقت كانت تردد: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً».

سمعها الأمير، واستدار وقال: «من ينادي باسمي؟». عندها، نظرت إليه «لايلي»، وما إن وقعت عيناها عليه حتى وقعت في حبه، وقالت لنفسها: «أنا متأكدة أن هذا هو الأمير مجنون الذي أمرني الصوت بالزواج منه». عادت إلى أبيها وقالت له: «أبي، أريد الزواج من الأمير الذي جاء إلى مملكتك، ذلك أني أعلم أنه الأمير مجنون الذي قدر لي أن أتزوج منه».

قال مونسوك راجا: «طيب، سيكون زوجك، سنسأله رأيه غداً».

وافقت «لايلي» على الانتظار رغم نفاد صبرها. ولكن غادر الأمير بلاد الفالانا تلك الليلة، وعندما علمت «لايلي» برحيله، جن جنونها. ولم تسمع كلمة من أبيها أو أمها أو خدمها، بل ذهبت إلى الغابة، وراحت تتنقل من غابة إلى أخرى، حتى ابتعدت كثيراً عن بلادها، وهي تردّد طوال الوقت: «مجنون. مجنون، أريد مجنوناً». وهكذا ظلت شاردة زهاء اثني عشر عاماً.

وبعد نهاية السنوات الاثنتي عشرة، قابلت درويشاً هو في حقيقة الأمر ملاك، لكنها لم تكن تعلم ذلك، وسألها: «لِمَ تواصلين القول: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً؟»».

فردت عليه: «أنا ابنة ملك بلاد الفالانا، وأريد أن أعثر على الأمير مجنون، قل لي، أين هي مملكته؟».

قال الدرويش: «أظن أنك لن تصلي إليه، لأن بلاده بعيدة جداً. ويجب عليك أن تجتازي الكثير من الأنهار حتى تصلي إليها». ولكن «لايلي» قالت إن ذلك لن يضيرها، إذ عليها أن تلتقي الأمير مجنون.

فقال الدرويش: «حسناً، عندما تصلين إلى نهر باجيراثي، سترين سمكة روهو كبيرة، وعليك أن تجعلي السمكة تحملك إلى بلاد الأمير مجنون، وإلا لن تصلي».

مشت الأميرة ومشت، وأخيراً وصلت إلى نهر باجراثي. ووجدت هناك سمكة كبيرة يطلق عليها اسم روهو. وكانت السمكة تتثاءب حينما وصلت إليها، وعلى الفور قفزت إلى معدة السمكة، وظلت تقول: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً»، عندئذ أجفلت السمكة وسبحت على امتداد النهر بأسرع ما

تستطيع. إلا أن التعب نال منها وبدأت بالتباطؤ، وجاء غراب وحط على ظهر السمكة، وراح يصدر صوته المعروف «واق واق». قالت له السمكة المسكينة: «يا سيد غراب، هل ترى ماذا يوجد في معدتي ويصدر هذه الأصوات».

قال الغراب: «حسناً افتحي فمك وسأطير إلى الداخل وأرى». فتحت الروهو فكيها ودخل الغراب ثم خرج مسرعاً وقال: «هناك عفريت في معدتك»، ثم طار مبتعداً. لم تشعر الروهو بالارتياح من هذه الأخبار، وواصلت السباحة حتى وصلت إلى بلاد الأمير «مجنون». توقفت هناك. جاء ابن آوى إلى النهر ليشرب. فقالت سمكة الروهو: «آه يا بن آوى، قل لي ماذا هنالك في داخلي».

فقال ابن آوى: «أنّى لي أن أعرف؟ لا أستطيع أن أرى ما لم أدخل إلى جوفك». فتحت السمكة فمها بالكامل، وقفز ابن آوى إلى داخل حنجرتها، ولكنه خرج مسرعاً، وقد بدا عليه الرعب: «هناك عفريت في معدتك، وإن لم أهرب بسرعة، أخشى أن يأكلني». وهكذا هرب. وبعد ابن آوى، وصلت أفعى كبيرة الحجم. فسألتها السمكة: «أخبريني ماذا هناك في داخل معدتي، ثمة ما يثرثر ويواصل القول: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً»».

قالت الأفعى: «افتح فمك وسأنزل وأرى ما هو». انزلقت الأفعى إلى داخلها، وعندما عادت قالت: «لديك عفريت في معدتك، ولكن لو سمحت لي بأن أقطع بطنك، فستخرج منك».

قالت سمكة الروهو: «لو فعلت ذلك، فسأموت».

قالت الأفعى: «لن تموتي، لأني سأعطيك دواء سيجعلك تتعافين بسرعة».

وافقت السمكة، جاءت الأفعى بسكين، وقطعتها، وقفزت «لايلي» خارجة من بطنها.

وقد صارت الآن عجوزاً. فهي تاهت في الغابة اثني عشر عاماً، وعاشت في بطن سمكة الروهو اثني عشر عاماً.

ثم أخذتها الأفعى على ظهرها وحملتها إلى داخل البلاد، ثم وضعتها هناك. وراحت تتجول وتتجول حتى وصلت إلى بلاط الملك «دينتال». سمعها بعض الرجال وهي تصرخ: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً»، وسألوها ماذا تريد. فقالت: «أريد الملك مجنون».

دخل الرجال وقالوا للأمير «مجنون»: «هناك عجوز في الخارج تطلب المثول أمامكم».

فقال: «دعوها تدخل».

أدخلوها وسألها الأمير ماذا تريد.

فردت: «أريد الزواج منك، قد جئت قبل سنين طويلة إلى بلاد أبي، بلاد أمير الفالانا، وأردت الزواج منك في حينها، لكنك رحلت من دون أن تتزوجني. فجن جنوني، وهمت على وجهي طوال هذه السنين بحثاً عنك».

قال الأمير «مجنون»: «هذا رائع».

قالت «لايلي»: «تضرع إلى الله أن يرجعنا شابين مرة أخرى، عندها سنتزوج». صلى الأمير لله، وسمع صوتاً من السماء يقول له «المس ملابس لايلي وستشتعل فيها النار، وعندما تشب فيها النار، ستعودان شابين مرة أخرى». وعندما لمس الأمير ملابس لايلي اشتعلت فيها النار، وعادا شابين. أقيمت الاحتفالات الكبيرة، وتزوجا وسافرا إلى بلاد الفالانا لزيارة أبيها وأمها.

كان والدها قد حزنا عليها حزناً شديداً حتى فقدا بصرهما من كثرة البكاء، وظل والدها يكرر دائماً: «لايلي، لايلي، لايلي»، وحينما اكتشفت هذه أنهما صارا مكفوفين، صلت لله وتضرعت بأن يعيد إليهما بصرهما وهذا ما حصل. وما إن وقعت عليها عيونهما حتى حضناها وقبلاها وأقاما حفل الزفاف مرة أخرى وسط احتفالات بهيجة. بقي الأمير مجنون و«لايلي» مع مونسوك راجا وزوجته لثلاث سنوات ثم عادا إلى الملك «دينتال»، وعاشا سعيدين لفترة من الزمن معه.

وقد اعتادا الخروج للصيد وغالباً ما كانا يرحلان من بلد لآخر ليسابقا الريح ويمتعا نفسيهما.

في أحد الأيام، قال لها الأمير: «فلندخل هذه الغابة».

فقالت: «كلا، كلا، إذا ما دخلنا هذه الغابة، فسيلحق بي الأذى». لكن الأمير «مجنون» ضحك ودخل إلى الغابة، وفي أثناء دخولهما، قال القدر: «أودّ أن أعرف مدى حب الأمير مجنون لزوجته. وهل سيأسف لموتها؟ أم سيتزوج من امرأة أخرى؟ سنرى». ثم أرسل واحداً من رسله في هيئة زاهد مسكين إلى الغابة. واقترب الملاك من «لايلي» ورشّ وجهها بمسحوق ما، فسقطت من فورها كومة من رماد.

حزن الأمير «مجنون» حزناً عظيماً وقد رأى حبيبته تستحيل كومة رماد صغيرة. فقل عائداً إلى بيت أبيه، حيث اعتزل الناس، ولزمن طويل لم يكن بالإمكان مواساته.

وبعد مرور سنوات عديدة، استعاد مرحه وسعادته وبدأ مرة أخرى بالعودة إلى حديقة أبيه مع صديقه حسين محمد، تمنى الملك «دينتال» أن يتزوج ابنه مرة أخرى. فكان جواب الأمير: «لن أتخذ زوجة سوى لايلي ما حييت».

قال والده متسائلاً: «كيف تتزوج من لايلي، وقد صارت في عداد الموتى، ولن تعود إطلاقاً».

فرد الأمير: «إذن لن تكون لي أي زوجة على الإطلاق».

في ذات الوقت كانت «لايلي» تعيش في الغابة حيث تركها زوجها كومة صغيرة من الرماد. فما إن رحل مجنون عنها، حتى جمع الزاهد المسكين رمادها ونظفه ثم خلطه مع الطين والماء، وصنع منها امرأة، وهكذا استعادت «لايلي» هيئتها البشرية، ونفخت السماء الحياة فيها. إلا أنها بقيت عجوزاً دميمة، أنفها طويل جداً، ولها ما يشبه الأنياب بدلاً من الأسنان. عادت كما كانت حين خرجت من بطن سمكة

الروهو، وعاشت في الغابة، ولم تكن تأكل ولا تشرب، بل تقول باستمرار: «مجنون، مجنون، أريد مجنوناً».

وأخيراً فإن الملاك الذي كان قد ظهر لها بشكل درويش زاهد ورشها بالمسحوق، قال متضرعاً: «ما جدوى أن تتشرد هذه المرأة ناعية باكية إلى الأبد، هاتفة مجنون، مجنون، أريد مجنوناً، ولا تأكل ولا تشرب شيئاً؟ دعني آخذها إلى الأمير مجنون».

وجاءه الرد: «يمكنك أن تفعل ذلك، ولكن قل لها إنه عليها ألا تكلم مجنون إذا جزع منها حين يراها. فإذا خاف لدى مرآها، ستتحول إلى كلب أبيض صغير في اليوم التالي. وعليها بعد ذلك أن تذهب إلى القصر، ولن تستعيد شكلها الآدمي إلا عندما يحبها الأمير مجنون، ويطعمها من طعامه، ويدعها تنام في فراشه».

عاد الملاك إلى «لايلي» مرة أخرى في هيئة الدرويش وحملها إلى حديقة الملك «دينتال». وقال لها: «هذا أمر الله أن تبقي هنا حتى يأتي الأمير مجنون ليتمشى في الحديقة، ثم يمكنك أن تريه نفسك. ولكن لا تتحدثي إليه، وإذا ما خاف منك، فستصبحين في اليوم التالي جرواً أبيض». ثم أبلغها بما يجب أن تقوم به كجرو لكي تستعيد هيئتها الآدمية.

بقيت «لايلي» في الحديقة، مختبئة بين العشب الطويل، إلى أن وصل الأمير «مجنون» وحسين محمد ليتمشيا في الحديقة. كان الملك «دينتال» أصبح طاعناً في السن، ورغم أن حسين محمد، كان هو الآخر بعمر الأمير «مجنون»، إلا أنه بدا أكبر منه بكثير، بعد أن عاد الأمير إلى شبابه إثر زواجه من «لايلي».

في أثناء تجوال الأمير «مجنون» وابن الوزير في الحديقة، قاما بجمع الفاكهة كما كانا يفعلان في أثناء طفولتهما، حيث كانا يقضمان الفاكهة فوراً ومن دون تقطيعها. وبينما كان «مجنون» يأكل فاكهة بهذه الطريقة، متحدثاً إلى حسين محمد، توجه بنظره إليه وشاهد «لايلي» تسير خلفه.

فصرخ: «انظر، انظر، من تتبعك، إنها شيطانة وأنا متأكد من أنها ستأكلنا». نظرت إليه «لايلي» نظرة متوسلة، مرتجفة بسبب شيخوختها وشوقها، إلا أن ذلك لم يزد «مجنون» إلا خوفاً. وصرخ «إنها عفريتة، عفريتة»، وهرع عائداً إلى القصر بصحبة ابن الوزير. وفي أثناء هروبهما، اختفت «لايلي» في الغابة. ركضا إلى الملك «دينتال»، وأخبره مجنون بأن هناك شيطانة أو عفريتة في الحديقة جاءت لتأكلهما.

قال والده «أي هراء هذا، تخيل رجلان ناضجان مرتعبان من عجوز أو درويش مسكين! ما كانت لتأكلكما».

وفي الحقيقة، لم يصدق الملك «دينتال» أن «مجنون» شاهد أي شيء على الإطلاق! حتى قال حسين محمد إن الأمير يقول الحقيقة تماماً. فتشوا الحديقة بحثاً عن العجوز الدميمة، ولكنهم لم يجدوا شيئاً، فقال الملك «دينتال» إنه كان من السخف إبداء هذه الدرجة من الخوف. لكن الأمير «مجنون» لم يدخل الحديقة بعد ذلك.

في اليوم التالي استحالت «لايلي» إلى كلب صغير جميل، ودخلت القصر بهذا الشكل وأصبح الأمير «مجنون» مفتوناً بالكلب. وكانت تتبعه في كل مكان، وتذهب معه عندما يخرج إلى الصيد، وتساعده على الإمساك بطرائده، وكان الأمير يطعمها الحليب أو الخبز أو أي شيء كان يأكله، وفي أثناء الليل يسمح لها بالنوم في فراشه.

في إحدى الليالي اختفى الكلب الصغير، وبدلاً من ذلك كانت العجوز التي أخافت الأمير كثيراً في الحديقة ترقد هناك. وتأكد الأمير «مجنون» أنها ليست إلا عفريتة أو شيطانة أو أي كائن مروع جاء ليأكله. وصرخ مرتعباً: «ماذا تريدين؟ لا تأكليني، لا تأكليني!».

أجابت «لايلي» المسكينة: «ألم تعرفني؟»أنا زوجتك لايلي، وأنا أريد الزواج منك. ألا تذكر كيف أنك دخلت تلك الغابة رغم توسلاتي لك ألا تذهب، وقولي لي إن ذلك سيلحق بي الأذى، وبعدها جاء درويش ورشقني بمسحوق ما، فاستحلت كومة من رماد. لكن الله أنعم علي بالحياة مرة أخرى، وبعد أن همت طويلاً في الغابة أنادي عليك، ها قد تحولت إلى كلب صغير، ولكن لو تزوجتني، فلن أعود ذلك الكلب. لكن قال «مجنون»: «كيف لي أن أتزوج من امرأة عجوز مثلك؟ كيف يمكن أن تكوني أنت لايلي؟ أنا متأكد من أنك شيطانة أو عفريتة جاءت لتأكلني» وكان في حالة رعب شديد.

في الصباح استحالت العجوز إلى كلب صغير، وذهب الأمير إلى أبيه وأخبره بما حدث. قال والده متأففاً: «امرأة عجوز! امرأة عجوز! دائماً امرأة عجوز!». وأضاف: «لا تفعل شيئاً سوى التفكير بتلك العجوز، كيف لرجل قوي مثلك أن يجزع بمثل هذه السهولة؟». ولكن عندما لاحظ مدى رعب ولده وتيقنه من أن تلك العجوز ستعاود الظهور له في الليل، نصحه بأن يقول لها: «سأتزوجك إذا ما استطعت العودة شابة صغيرة مرة أخرى. كيف لي أن أتزوج من عجوز مثلك؟».

في تلك الليلة وفي أثناء نومه مرتجفاً في السرير، رقدت العجوز هناك بدلاً من الكلب، وهي تنوح: «مجنون، مجنون، أريد أن أتزوجك. لقد أحببتك طوال السنوات الماضية، عندما كنت فتاة يانعة في مملكة أبي سمت بك، رغم أنك لم تسمع بي، وكان يجدر بنا الزواج في حينها لو لم تغادر فجأة، ورحت أتعقبك طوال سنوات وسنوات».

قال مجنون: «حسناً ، إذا ما استطعت أن تستعيدي شبابك فسأتزوجك».

فقالت «لايلي»: «هذا أمر سهل جداً، سيعيدني الله فتاة صغيرة، مرة أخرى، وخلال يومين يجب أن تذهب إلى الحديقة، وهناك، سترى فاكهة جميلة، وعليك أن تقطفها وتدخلها إلى غرفتك وتفتحها بنفسك برقة متناهية، ولا تفتحها بحضرة والدك أو أي شخص آخر، بل عندما تكون وحدك، ذلك لأني سأكون عارية تماماً داخل حبة الفاكهة». وفي الصباح اتخذت «لايلي» شكل الجرو واختفت في الحديقة.

أخبر مجنون والده بكل ذلك، ونصحه والده بتنفيذ كل ما أمرته به العجوز. وبعد يومين كان الأمير يتمشى برفقة ابن الوزير في الحديقة، وفجأة شاهد فاكهة حمراء اللون جميلة وكبيرة،

فقال: «أتساءل إن كنت سأجد زوجتي في داخل تلك الفاكهة». طلب منه حسين محمد أن يقطفها ويتأكد من الأمر، ولكنه لم يفعل حتى أخبر والده الذي قال «لابد من أنها هي الفاكهة التي ذكرتها العجوز، فاذهب واجلبها».

عاد مجنون وقطف الثمرة، وقال لوالده «تعال معي إلى غرفتي عندما أفتحها، أخشى أن أفتحها وحدي، إذ ربما أجد فيها شيطاناً سيأكلني».

قال الملك: «كلا، تذكر، أن لايلي ستكون عارية، يجب أن تذهب وحدك ولا تخف، حتى لو كانت في داخل حبة الفاكهة عفريتة، لأني سأبقى خارج الغرفة، وما عليك سوى مناداتي وسأدخل، ولن تتمكن العفريتة من أكلك».

أخذ «مجنون» الفاكهة وبدأ يفتحها بيدين مرتجفتين من شدة الخوف، وبعد أن قطعها، خرجت «لايلي»، شابة أكثر جمالاً مما كانت عليه. وبمشهد جمالها الأخاذ، سقط «مجنون» أرضاً مغشياً عليه.

تناولت «لايلي» عمامته ولفت بها جسمها العاري، ثم نادت على الملك «دينتال»، وقالت له بحزن بالغ: «لماذا سقط

مجنون هكذا؟ ألا يريد التحدث إلي؟ فهو لم يكن يخافني، وقد شاهدني هكذا مرات ومرات».

أجاب الملك «دينتال»: «ذلك لأنك جميلة جداً. بل أنت أكثر جمالاً بكثير عما كنت عليه. ولكنه سيكون سعيداً جداً حين يراك ثانية». جلب الملك قليلاً من الماء ورشه على وجه «مجنون» وسقاه شيئاً منه، ثم عاود الوقوف ثم سألته «لايلي»: «لماذا أغمي عليك؟ ألم ترَ أني لايلي؟».

قال الأمير: «آه، أرى أنك لايلي وقد عدت إلي، إلا أن عينيك أصبحتا غاية في الروعة بحيث أغمي علي حين رأيتهما». سعد الجميع، وأمر الملك «دينتال» بقرع الطبول في أرجاء البلاط، وبأن تعزف الموسيقى في أرجاء المملكة، وأقاموا حفل زفاف عظيم، ووزعت الهدايا على الخدم، ووزع الأرز والأموال الكثيرة على الفقراء.

وبعد فترة من السعادة، خرج الأمير مجنون وزوجته لكي «يتذوقا الهواء»[1]، وامتطيا الحصان نفسه، وكان برفقتهما سائس خيل واحد. وصلا إلى حديقة غنّاء في مملكة أخرى. قال «مجنون»: «يجب أن ندخل إلى الحديقة ونراها».

(1) تعبير مجازي to eat the air والأرجح أنه يشبه ما نقوله بالعربية «شم الهواء» حين نقصد الذهاب في نزهة (م).

«كلا، كلا، هذه الحديقة ملك أمير شرير جداً، اسمه تشومان باسا».

لكن مجنون أصرّ على الدخول على الرغم من تحذيرات «لايلي». ترجل عن حصانه ليلقي نظرة على الزهور. وفي أثناء ذلك، شاهدت «لايلي» تشومان باسا يتجه نحوهما، وقرأت في عينيه أنه يريد قتل زوجها. لذلك قالت لمجنون: «تعال، تعال، دعنا نذهب، لا تقترب من ذلك الرجل الشرير. أرى الشرّ في عينيه، وأشعر به في قلبي، إنه يريد قتلك وامتلاكي»

رد عليها «مجنون»: «أي هراء هذا، أظن أنه أمير طيب جداً. على أي حال، أنا الآن قريب جداً منه فلا أستطيع الابتعاد».

قالت «لايلي»: «حسناً، أفضل أن تقتل أنت وليس أنا، لأنني لو قتلت مرة ثانية، فإن الله لن يهبني الحياة من جديد، ولكن باستطاعتي إعادتك إلى الحياة لو قتلت أنت». اقترب تشومان باسا كثيراً، وبدا مرحاً، هكذا اعتقد «مجنون»، ولكن عندما بدأ بالحديث معه، استل سيفه المعقوف وقطع رأس الأمير بضربة واحدة».

جلست «لايلي» هادئة تماماً على صهوة حصانها، وحين اقترب الراجا منها قالت له: «لماذا قتلت زوجي؟».

فأجاب: «لأنني أريد أن آخذك».

«لن تستطيع».

«بل أستطيع».

«خذني إذن».

اقترب منها تشومان باسا ومدّ يده لينزلها عن الحصان، لكنها استلت سكيناً من جيبها فاستحالت فوراً سكيناً طويلة، وبحركة رشيقة قطعت رأس تشومان باسا بضربة واحدة.

ثم نزلت عن الحصان، واتجهت نحو جثمان «مجنون»، ثم قطعت إصبعها الصغيرة من الإظفر حتى راحة اليد، وتدفق الدم وكأنه دواء ناجع. ثم أعادت رأس «مجنون» إلى موضعه، ومسحت بدمها على الجرح، وإذا بمجنون ينهض ويقول: «يا لها من سكرة نوم لذيذ! أشعر أني نمت لسنين!». ثم نهض ورأى جسد الراجا القتيل قرب حصان «لايلي».

سألها: «ما هذا؟».

«هذا الراجا الشرير الذي قتلك لكي يأسرني، مثلما قلت لك».

«ومن الذي قتله؟».

«أنا، وأنا التي أعدتك إلى الحياة».

إذن أعيدي هذا الرجل المسكين إلى الحياة إذا كنت تعرفين كيف تفعلين ذلك».

قالت «لايلي»: «كلا، لأنه رجل شرير، وسيحاول مجدداً أن يؤذيك». لكن «مجنون» ظل يلح عليها ويتوسلها طويلاً، حتى اضطرت أخيراً إلى القول: «اقفز على ظهر الحصان، ثم ابتعد مع السائس».

«وماذا ستفعلين، إذا ما تركتك؟ لا أستطيع تركك».

قالت: «سأهتم بنفسي، لكن هذا الرجل شرير، وقد يقتلك مرة أخرى إذا كنت قريباً مني».

ركب «مجنون» الحصان وانتظر «لايلي». ثم قامت بإعادة رأس الراجا الشرير إلى كتفيه، وعصرت الجرح بإصبعها حتى خرج شيء من الدم الشافي منه. ثم قامت بمسح ذلك على المكان

الذي مرت عليه بالسكين، وفي اللحظة التي رأت الراجا يفتح عينيه، بدأت بالركض، فحاول الإمساك بها، لكنها قفزت خلف زوجها، وانطلقا مسرعين حتى وصلا إلى قصر الملك «دينتال».

روى الأمير «مجنون» كل شيء لأبيه، الذي ارتعب وغضب وقال: «أنت رجل محظوظ لأن لديك زوجة كهذه»، وأضاف متسائلاً: «لماذا لم تتبع تحذيراتها لك؟ فلولاها، لكنت في عداد الموتى؟».

ثم أقام الملك حفلاً كبيراً احتفالاً بسلامة ولده ووزع الكثير من المال على الفقراء، واحتفى بـ «لايلي» كثيراً وغمرها بمحبته، ولم يكفه ذلك لأنه لم يفعل لها الكثير، فبنى لها ولابنه قصراً منيفاً، تحيطه أرض واسعة وحدائق غناء، ووهبهما ثروة هائلة، وأعداداً لا تحصى من الخدم. ولكنه لم يسمح إلا لخدمهم بالدخول إلى حدائقهما وقصرهما، ولم يكن ليسمح لمجنون بالخروج منها، ولا لزوجته «لايلي».

وقال: «لأن لايلي جميلة جداً، ربما يقتل أحدهم ابني لكي يحصل عليها لنفسه».

النمر والبراهماني وابن آوى

كان يا مكان هناك نمر وقع في فخ، حاول يائساً أن يخرج من خلال القضبان، وراح يقفز ويزأر بغضب وحزن حين فشل في ذلك.

وبالصدفة مر براهمانيّ مسكين.

فنادى عليه النمر: «أخرجني من هذا القفص، أيها الرجل الورع!».

رد البراهماني بهدوء: «كلا يا صديقي، ربما تفترسني إن فعلت».

أقسم النمر: «على الإطلاق، بل على العكس، سأكون ممتناً لك إلى الأبد، وسأصبح عبداً لك».

وعندما راح النمر ينشج ويتحسر ويبكي ويحلف، رقّ قلب البراهماني، ووافق أخيراً على أن يفتح باب القفص. وأطل النمر خارجاً من القفص وأمسك بالرجل المسكين، وقال بصوت

هادر: «أيّ أحمق أنت! ما الذي يمنعني من أكلك الآن، فبعد هذا الاحتجاز الطويل، أشعر بجوع رهيب!».

توسله البراهماني عبثاً لكي لا ينهي حياته، وأكثر ما استطاع الحصول عليه هو وعد بالالتزام بقرار أول ثلاثة كائنات يسألها رأيها بشأن عدالة عمل النمر.

سأل البراهماني أولاً شجرة «البيبال»[1] رأيها بالموضوع، لكنها ردت ببرود قائلة: «ما الذي تشتكي منه؟ ألا ترى أني أوفر الظل والملاذ لكل من يمر، ويردون الفضل بتمزيق أعضائي لكي يطعموا مواشيهم؟ لا تتذمر وكن رجلاً!».

بعدها، وقد انتابه الحزن، قطع مسافة أبعد ليصل إلى حقل فيه جاموسة تدير ناعور ماء موصول ببئر، ولكنه لم يحصل منها على جواب أفضل، لأنها ردت: «أحمق هو من يتوقع رد الجميل! انظر إلى حالي، حين كنت أدرّ عليهم حليبي، كانوا يطعمونني بذور القطن وخبز الذرة، ولكن بعد أن جف حليبي، ربطوني إلى هذا النير، وصاروا يرمون إليّ بالفضلات!».

ثم سأل البراهماني، وقد زاد حزنه، الطريق ليعطيه رأيه.

(1) نوع من التين الهندي (م).

قال الطريق: «يا سيدي العزيز، أي أحمق أنت لتتوقع مصيراً آخر! ها أنا ذا أنفع الجميع، ومع ذلك، يدوس علي الجميع، من أغنياء وفقراء، وكبار وصغار، وهم يمرون ولا يعطوني شيئاً سوى رماد سجائرهم وقشور حبوبهم».

عندها عاد البراهماني محزوناً، وفي طريقه، قابل ابن آوى، الذي نادى عليه: «ماذا، ما الأمر، أيها السيد؟ تبدو شقياً كسمكة خارج الماء!».

أخبره البراهماني بكل ما حدث. قال ابن آوى: «أمر محير فعلاً، ولكن هل تمانع لو أعدت سرد القصة عليّ مرة أخرى، لأن الأمور اختلطت عليّ!».

أعاد البراهماني سرد القصة من جديد، لكن ابن آوى هز رأسه بطريقة غريبة، ولم يفهم رغم ذلك.

وقال بحزن: «أمر محزن جداً، ولكن يبدو أن الحكاية تدخل من هذه الأذن وتخرج من الأخرى! سأذهب إلى المكان الذي وقعت فيه كل هذه الأحداث، عندها، ربما أتمكن من أن أصدر حكماً».

وهكذا، عاد إلى موضع القفص، حيث كان النمر بانتظار البراهماني وهو يسنّ أنيابه ومخالبه، دمدم الوحش الكاسر: «لقد تأخرت كثيراً ولكن دعنا نبدأ بعشائنا».

قال البراهماني الشقيّ محدثاً نفسه وقد اصطحت ركبتاه خوفاً: «عشاؤنا! يا لها من طريقة رقيقة في طرح المسألة».

توسل الرجل النمر قائلاً: «أمهلني خمس دقائق يا سيدي، لأوضح الأمور لابن آوى هنا، لأنه يعاني من الغباء».

وافق النمر، وبدأ البراهماني بسرد القصة مرة أخرى، من دون أن ينسى أدنى تفصيل، محاولاً إطالة حكايته قدر الإمكان.

صاح ابن آوى: «يا لضحالة عقلي! يا لعقلي البائس!»، وهو يلوي مخالبه وأضاف: «دعني أفهم كيف بدأ الأمر برمته؟ أنت كنت في القفص، وخرج النمر ماشياً...».

فقال النمر مقاطعاً وقد بدأ صبره بالنفاد: «أوه، أي أحمق أنت! أنا من كان في القفص».

صاح ابن آوى وهو يتظاهر بالارتجاف خوفاً: «طبعاً، طبعاً، أنت من كان في القفص، كلا، لم تكن، يا ويلي! لقد شتّ عقلي!

دعني أفهم – كان النمر في البراهماني، وخرج القفص يتمشى... كلا، ليس هكذا، كذلك، حسناً، لا تهتم لي، ما عليك سوى أن تبدأ عشاءك، ذلك أني لن أفهم!».

أجاب النمر، غاضباً من غباء ابن آوى: «بل، ستفعل، سأجعلك تفهم! انظر هنا، أنا النمر...».

«نعم، سيدي».

«وهذا هو البراهماني».

«نعم سيدي».

«وذاك هو القفص».

«نعم سيدي!».

«وأنا كنت في القفص – هل تفهم؟».

«نعم – لا – أرجوك يا سيدي».

« حسناً؟»، صرخ النمر بعد أن نفد صبره.

«أرجوك، يا سيدي! كيف دخلت إلى القفص؟».

«كيف - بالطريقة العادية، طبعاً!».

«آه مني، بدأ رأسي يدور مرة أخرى - أرجوك لا تغضب، يا سيدي، ولكن ماذا تقصد بالطريقة الاعتيادية؟».

عندئذ نفد صبر النمر، فقفز إلى داخل القفص، وصاح «بهذه الطريقة! والآن هل فهمت كيف حدث ذلك؟».

«تماماً!»، ابتسم ابن آوى مكشراً، بعد أن أغلق الباب بطريقة حاذقة، ثم قال: «وإذا سمحت لي بالقول، أعتقد أن الأمور ستبقى كما كانت عليه».

ابن العرّاف

كتب عرّاف وهو على فراش الموت طالع ولده الثاني، وكان اسمه «جانجازارا» وسلمه إياه بصفته إرثه الوحيد له، تاركاً كل أملاكه لولده الأكبر. قرأ الولد الثاني طالعه، وقال لنفسه: «واأسفاه! هل ولدت لهذا فقط في هذا العالم؟ إن تنبؤات أبي لم تخب يوماً، ولطالما تحقّقت حتى الكلمة الأخيرة، فكيف حدّد طالعي إذن: سأكون فقيراً منذ الولادة! ليس هذا فحسب بل سأسجن عشر سنوات! قدر أصعب من الفقر! وماذا بعد؟ سأموت على شاطئ البحر! وهذا يعني أني لابد سأموت بعيداً عن بيتي وعن أصدقائي وأقاربي. ثم يأتي الجزء الأكثر إثارة للفضول في الطالع، ألا وهو أني سأحيا في هناء بعد ذلك! ما هذا الهناء، أمر يبقى لغزاً بالنسبة لي».

هكذا فكّر، وبعد انتهاء كافة مراسيم دفن أبيه، استأذن أخاه الأكبر وبدأ رحلته إلى بيناريس. وشق طريقه من وسط «ديكان» متجنباً الشاطئين، وواصل رحلته لأسابيع وأشهر حتى وصل إلى

جبال فينديايا. وفي أثناء مروره في تلك الأراضي المجدبة اضطر إلى أن يقضي يومين في منطقة سهلية رملية، لا تظهر فيها أي علامة من علامات الحياة أو النبات.

نفذ مخزون مؤونته الذي تزود به ليومين. أما قربة الماء التي كان يملؤها بالماء العذب من النهير الجاري أو الحوض الوافر، فقد نفدت هي الأخرى في قيظ الصحراء. لم يعد لديه لقمة يأكلها، ولا قطرة ماء يشربها. وأينما أدار نظره لم ير سوى صحراء شاسعة لا يبدو لها مخرج. ورغم ذلك راح يفكر مع نفسه: «بالتأكيد لم يثبت خطأ نبوءة أبي يوماً. ولابد من أنني سأنجو من هذه الكارثة لألقى حتفي على شاطئ بحر».

هكذا راحت الأفكار تدور في رأسه، وأعطته فكرته قوة ذهنية ليسرع في سيره ويحاول العثور على قطرة ماء تطفئ عطشه.

وأخيراً نجح، رمت السماء في طريقه بئراً خربة. ظن أنه يستطيع أن يجمع شيئاً من الماء إذا ما أنزل قربته بحبل كان يربطه دائماً إلى رقبة القربة. ولأجل ذلك، أنزل القربة، فنزلت إلى مسافة ثم توقفت، وانبعثت من البئر الكلمات التالية: «أرجوك، أنقذني! أنا ملك النمور، أتضوّر جوعاً هنا، لم آكل شيئاً خلال الأيام الثلاثة الماضية. لقد أرسلك القدر إلى هنا. إذا ساعدتني

الآن فستجد عوناً مضموناً مني طوال حياتك. لا تحسبني وحشاً مفترساً. فحين تصبح منقذي، لن أمسسك بسوء، أرجوك، أتوسل إليك ارفعني». تساءل «جانجازارا» في سرّه: «هل أخرجه أم لا؟ إذا ما أخرجته فقد أكون لقمته الأولى، كلا، لن يفعل ذلك، لأن نبوءة أبي لم تكذب يوماً، سأموت على شاطئ البحر وليس على يد نمر».

وفي أثناء تفكيره، طلب من ملك النمور الملك أن يتمسك بالوعاء، وهذا ما فعله، ورفعه ببطء. وصل النمر إلى أعلى البئر وشعر بأنه بات على أرض آمنة. ووفاء بوعده، لم يؤذ «جانجازارا»، بل دار حول منقذه ثلاث مرات، ثم وقف أمامه، ونطق بتواضع قائلاً:

«يا منقذ حياتي، أيها المحسن، لن أنسى هذا اليوم الذي استعدت فيه حياتي على يديك الكريمتين. مقابل هذه المساعدة الكريمة، أقسم بأن أتعهد بالوقوف إلى جانبك في كل الملمات. كلما وجدت نفسك في وضع صعب، ما عليك سوى أن تذكرني. وسأكون عندك مستعداً لمساعدتك بكل ما أوتيت من قوة. دعني أحك لك كيف وصلت إلى هذا المكان. قبل ثلاثة أيام كنت أتجوّل في تلك الغابة، وإذا بي أشاهد صائغ مجوهرات

يمر بالغابة. فطاردته، وعندما وجد أنه من المستحيل أن يفلت من مخالبي، قفز إلى البئر، وهو موجود حالياً في قعر البئر. قفزت أنا كذلك، ولكنني وجدت نفسي في الحيد الأول من البئر، وهو في الجزء الأخير والرابع منه. وفي الحيد الثاني يعيش ثعبان عضّه الجوع. وفي الحيد الثالث هناك جرذ، يعاني من الجوع هو الآخر، وعندما تنزل قربتك مرة أخرى لسحب الماء، قد تطلب منك هذه المخلوقات أن تنقذها. وقد يطلب منك الصائغ ذلك. أتوسل إليك، بصفتي صديقاً حميماً، ألا تمد يد العون لذلك الرجل الشقيّ رغم أنه يمّت بصلة نسب لك لكونه بشراً مثلك. لا تثق بصاغة المجوهرات قطّ. بإمكانك أن تثق بي أكثر، وأنا نمر، رغم أني أقتات أحياناً من لحم البشر، وبالثعبان الذي تجمّد لدغته الدم في عروقك في لحظة من الزمن، وفي الجرذ الذي يعيث فساداً في بيتك، لكن لا تثق بصائغ. لا تطلق سراحه، وإن فعلت، فإنك ستندم بالتأكيد على ذلك يوماً ما».

وبعد أن قدم له هذه النصيحة، غادر النمر الجائع من دون أن ينتظر رداً.

تأمّل «جانجازارا» كثيراً بالطريقة البليغة التي تحدث بها النمر، وأُعجب بطلاقته لسانه، ولكنه لم يرو عطشه بعد، لذلك

أنزل قربته مرة أخرى إلى البئر، وقد أمسك بها الثعبان هذه المرة، وقال له: «آه يا منقذي، ارفعني إلى الأعلى. أنا ملك الأفاعي وابن أديسيشا الذي يكاد يموت حزناً على فراقي. أنقذني الآن. وسأبقى خادماً لك للأبد، وسأتذكر مساعدتك، وأعينك طوال الحياة بكل ما أوتيت من قوة. طوّق عنقي بجميلك».

رفعه «جانجازارا»، وهو يستذكر مرة أخرى: «ستموت على شاطئ البحر» كما جاء في نبوءة أبيه. دار الثعبان مثل ملك النمور، من حوله ثلاث مرات، وبعد أن ركع أمامه قال:

«يا منقذ حياتي، يا أبي، لأني يجب أن أناديك بهذا الاسم، لأنك أنت من منحني ولادة أخرى، قبل ثلاثة أيام وأنا أنعم بدفء شمس الصباح، رأيت جرذاً يركض أمامي، فلاحقته، سقط في هذا البئر فتبعته، ولكن بدلاً من أن أسقط في الحيد الثالث حيث يرقد الآن، سقطت في الحيد الثاني. أنا ذاهب الآن للقاء أبي. وأقول لك كلما وجدت نفسك في مشكلة، ما عليك سوى التفكير بي، وستجدني إلى جانبك».

وبعد أن قال ذلك، انزلق مبتعداً بحركات متعرجة واختفى عن الأنظار في لحظة.

أنزل ابن العرّاف المسكين الذي يكاد يموت عطشاً، دلوه للمرة الثالثة. فأمسك به الجرذ ومن دون مناقشة رفع الحيوان المسكين إلى الأعلى على الفور.

ولكن الجرذ رفض المغادرة قبل أن يظهر امتنانه:

«يا حياة حياتي، أيها المحسن العظيم، أنا ملك الجرذان. إذا ما وقعت في أي ملمة، فما عليك سوى أن تتذكرني. وسأحضر عندك، وأقدم العون لك. لقد التقطت أذناي الحساستان كل ما أخبرك به ملوك النمور عن الصائغ، القابع في أسفل البئر. من المؤسف أن الحقيقة هي ضرورة أن تتجنب الثقة بالصاغة على الإطلاق. لذلك، لا تساعده كما ساعدتنا، وإذا ما قمت بذلك، فستعاني جراء فعلتك. أنا جائع. والآن اسمح لي بالمغادرة».

قال كذلك لمنقذه، وابتعد الجرذ راكضاً هو الآخر.

تأمل «جانجازارا» لوهلة بالنصيحة التي كررتها عليه الحيوانات الثلاثة بشأن مساعدة الصائغ. ثم قال: «ما الخطأ في مساعدته؟ ولم لا أطلق سراحه؟».

في أثناء ذلك، أنزل «جانجازارا» دلوه مرة أخرى. فأمسك به الصائغ وطلب المساعدة. لم يكن لدى ابن العرّاف وقت

ليضيعه، فأخرج الصائغ ثم قال له: «انتظر لحظة»، وبعد أن أطفأ عطشه بإنزال دلوه للمرة الخامسة، خشية أن يكون هناك أحد في البئر بحاجة إلى مساعدته، أصغى للصائغ الذي بدأ حديثه بالقول: «يا صديقي العزيز، يا منقذي، أي حكايات تافهة تحدث عنها أولئك المتوحشون عني، وأنا سعيد أنك لم تأخذ بنصيحتهم. إني أموت جوعاً الآن. اسمح لي بالرحيل. اسمي مانيكاساري وأسكن في الشارع الرئيسي الشرقي في أوجايني، التي تبعد عشرين فرسخاً إلى الجنوب من هنا، وهو على طريق عودتك من بيناريس. لا تنسى أن تزورني لكي أردّ لك الجميل لعونك لي».

وبعد ذلك، استأذن الصائغ وواصل «جانجازارا» طريقه شمالاً بعد كل تلك المغامرات.

وصل إلى بيناريس وعاش فيها أكثر من عشر سنوات، ونسي تماماً النمر، والثعبان، والجرذ والصائغ. وبعد عشر سنوات من حياة التعبّد، تذكر أخاه وأسرته. ففكّر في نفسه: «لقد ضمنت ما يكفي من الثواب بتعبدي. فلأرجع إلى وطني». وسرعان ما وجد نفسه في طريق العودة إلى بلاده. وبعد أن تذكر نبوءة أبيه، عاد على الطريق نفسه الذي قطعه

عندما سافر إلى بيناريس قبل عشر سنين. وعلى خطى عودته ذاتها، وصل إلى البئر المهجورة التي أطلق منها الوحوش الثلاثة وصائغ المجوهرات وعلى الفور عادت الذكريات إلى رأسه وفكر في النمر لاختبار وفائه.

ولم تكد تمرّ لحظة حتى وجد ملك النمور راكضاً أمامه حاملاً تاجاً كبيراً في فمه، وقد فاق لمعان أحجار الماس فيه لمعان أشعة الشمس. رمى التاج عند قدميّ منقذه، وتخلى عن كل كبريائه، راح النمر يتواضع وكأنه قط أليف يجلس متنعماً بلمسات راعيه، وبدأ حديثه بالقول:

«يا منقذي، كيف تأتّي لك أن تنساني - أنا خادمك المسكين - طوال هذه المدة؟ أنا سعيد بأن أكتشف أني ما زلت أشغل زاوية في ذاكرتك. لا أستطيع قطّ أن أنسى اليوم الذي أصبحت فيه حياتي مدينة ليديك الرقيقتين. لدي عدد من المجوهرات التي لا تساوي الشيء الكثير. لقد جلبت هذا التاج، الذي يعد أفضل التيجان، بمثابة حلية ذات قيمة كبيرة، تستطيع أن تحملها معك وتستفيد منها في بلادك».

نظر «جانجازارا» إلى التاج، وراح يقلبه متفحصاً، ويعد الجواهر ويعيد عدّها، وراح يفكر مع نفسه أنه سيصبح أغنى الرجال لو فصل الألماس عن الذهب، وباعها في بلاده. استأذن منه الملك النمر ورحل.

وبعد أن اختفى تذكر ملك الثعابين وملك الجرذان اللذين حضرا فوراً حاملين هداياهما، وبعد تبادل التحيات والسلام، استأذنا منه، وقد سرّ «جانجازارا» كثيراً من وفاء تلك الوحوش، وواصل سيره جنوباً.

وفي أثناء سيره قال: «لقد بقيت هذه الحيوانات وفية في مساعدتها، لابد إذن من أن يكون مانيكاساري أكثر وفاءً. لا أريد منه شيئاً الآن. لو أخذت هذا التاج معي كما هو، فإنه سيشغل مساحة كبيرة داخل صرتي. وقد يثير فضول بعض اللصوص على الطريق، سأمر بطريقي بمدينة أوجيني. فقد طلب مانيكاساري مني أن أزوره دون تردد في رحلة عودتي. وسأفعل ذلك، وأطلب منه أن يذيب التاج، وأن يفصل الألماس عن الذهب. لابد من أن يقدم لي هذه الخدمة على الأقل. حينئذ سألف الماسات وكرة الذهب وأخفيها في ثيابي، وأمضي في طريقي إلى بيتي».

وصل إلى أوجيني وهو يفكر على هذا النحو، وعلى الفور سأل عن منزل صديقه الصائغ، فوجده دون صعوبة. وقد سرّ مانيكاساري كثيراً حين وجده على عتبة داره، ذلك الإنسان الذي أنقذه من الموت قبل سنوات عشر رغم النصائح المتكررة التي قدمها النمر الحكيم والثعبان والجرذ.

وعلى الفور، عرض عليه «جانجازارا» التاج الذي أعطاه إياه ملك النمور، وأخبره كيف حصل عليه، وطلب منه العون ليفصل الذهب عن الألماس. وافق مانيكاساري على القيام بذلك، وفي أثناء ذلك طلب من صديقه أن يستريح لفترة ليستحم ويتناول طعامه، وذهب «جانجازارا» الذي كان ملتزماً بمراعاة طقوسه، إلى النهر ليستحم.

كيف وصل التاج إلى فكيّ النمر؟ كان ملك أوجيني خرج قبل أسبوع من ذلك مع كافة الصيادين في رحلة صيد. وفجأة، خرج عليه ملك النمور في الغابة، وأمسك بالملك ثم اختفى.

وحين أبلغ المرافقون الأمير عن موت أبيه راح يبكي وينوح وأعلن أنه سيعطي نصف مملكته لكل من يجلب له كلمة عن قاتل أبيه.

وكان الصائغ يعلم علم اليقين أن نمراً هو الذي قتل الملك، وليس أي صياد، ومع أنه كان سمع من «جانجازارا» حكاية حصوله على التاج، فقد قرر أن يتهمه بقتل الملك، وهكذا، وبعد أن أخفى التاج تحت ملابسه، أسرع إلى القصر وقابل الأمير وأخبره أن القاتل قد ألقي القبض عليه، ووضع التاج أمامه.

أخذه الأمير التاج بين يديه وراح يفحّصه، وعلى الفور أعطى نصف المملكة لمانيكساري ثم سأله عن القاتل.

رد الصائغ: «يستحم في النهر»، وأعطاه أوصافه.

وفي الحال، هرعت فرقة من الجند إلى النهر، وأوثقوا الناسك المسكين من قدميه ورجليه من دون أن يعلم بالمصير الذي يحوم فوقه، في أثناء جلوسه متأملاً. ثم جلبوه أمام الأمير، الذي أشاح بوجهه عن القاتل المفترض وأمر جنوده بأن يرموه في غياهب السجن، وخلال دقيقة، ودون أن يعرف السبب، وجد الناسك المسكين نفسه في زنزانة مظلمة تحت الأرض، مشيّدة من جدران صخرية قوية، كان يُقاد إليها أي مجرم يدان بجريمة كبرى، ويطلب إليه أن يأخذ آخر أنفاسه دون أن يحصل على طعام وشراب. تلك كانت الزنزانة التي رميّ فيها «جانجازارا».

ترى ماذا دار في ذهنه حين وصل إلى هذا المصير:

«لا جدوى من اتهام الصائغ أو الأمير الآن، كلنا أولاد القدر. ولابد لنا من إطاعة أوامره. ما هذا سوى اليوم الأول من نبوءة أبي، وما زال كلامه صحيحاً حتى الآن. ولكن كيف لي أن أقضي عشر سنوات هنا؟ ربما أمكنني البقاء على قيد الحياة ليوم أو يومين من دون طعام أو شراب ولكن كيف سأقضي عشر سنوات؟ أمر غير ممكن. ولابد من أنني سأموت ولكن قبل ذلك، لم لا أتذكر أصدقائي المخلصين من الحيوانات».

هكذا راح «جانجازارا» يتأمل في الزنزانة المظلمة تحت الأرض، وفي تلك اللحظة، تذكر أصدقاؤه الثلاثة. فتجمّع ملوك النمور والثعابين والجرذان في الحال تصحبهم جيوشهم في حديقة بالقرب من السجن، ولوهلة لم يعرفوا ماذا يفعلون. عقدوا اجتماعاً وقرروا أن يشقوا ممراً تحت الأرض من داخل بئر مهجور يؤدي إلى الزنزانة. أصدر أمير الجرذان أمراً بذلك لجيشه. وشقت الجرذان بأسنانها في الأرض طريقاً طويلاً إلى جدران السجن، وبعد أن وصلت إلى هناك، وجدت الجرذان أن أسنانها لم تعد قادرة على قرض الصخور الصلبة.

ثم أمرت فئران «البندقوت» الهندية الضخمة على وجه الخصوص بالقيام بالمهمة، وتمكنت بأسنانها القوية من إحداث شق طولي في الجدار يكفي لدخول جرذ دون صعوبة. وهكذا فتح ممر.

كان أمير الجرذان أول من دخل ليواسي منقذه على ما حلّ به من سوء، وتعهد بأن يزوده بالمؤن. أصدر أمير الجرذان الأوامر لجنده قائلاً: «عليكم جميعاً جلب أي حلوى أو خبز يتم تحضيره في أي بيت، إلى حامينا، قطّعوا أي ملابس تجدونها معلّقة في أي منزل، ثم ضعوا القطع في الماء، واجلبوا الأجزاء المبللة لمنقذنا، وسيقوم بعصرها وجمع الماء ليشرب منها! أما الحلوى والخبز فسيكونان طعامه!».

وبعدها استأذن ملك الجرذان من «جانجازارا» وواصل جنوده، إطاعة أمر ملكهم، في تزويد «جانجازارا» بالطعام والماء.

وقال ملك الثعابين: «أعزيك من كل قلبي في مصيبتك، وقد أبلغني ملك النمور أن أوصل تعاطفه معك، لأنه لا يستطيع أن يدخل إلى هنا لضخامة جسمه. ووعد ملك الجرذان أن يبذل قصارى جهده لتزويدك بالطعام. سنقوم بكل ما نستطيع الآن من أجل إطلاق سراحك. واعتباراً من هذا اليوم، سنصدر

الأوامر لجيوشنا بمهاجمة كل رعايا المملكة. وسيزداد عدد القتلى من أثر عضات الأفاعي وهجمات النمور مئة ضعف، وسيزداد العدد يوماً بعد آخر حتى نحررك. وكلما سمعت أصوات الناس تقترب منك، يفضل أن تصرخ بصوت عالٍ حتى يسمعوك وأنت تقول: حبسني الأمير الشقيّ بتهمة كاذبة بقتل أبيه، في حين أن نمراً هو الذي قتله، ومنذ ذلك اليوم، حلّت الكوارث على مملكته. إذا ما أطلق سراحي، أعدكم باستخدام كل طاقاتي في علاج الجروح السامة. قد يسمع أحدهم ذلك وينقله إلى الملك، ولو علم بذلك، فستحصل على حريتك».

وهكذا، بعد أن قدم مواساته لمنقذه في بلواه، نصحه بأن يستجمع شجاعته، واستأذن مغادراً.

ومن ذلك اليوم، اتحدت النمور والثعابين وبفعل أوامر من ملوكها راحت تقتل أكبر عدد ممكن من الناس والماشية. ففي كل يوم يمر، كانت النمور تسحل الناس بعيداً، أو كانوا يقضون فريسة لعضات الأفاعي.

وهكذا مرت شهور وسنين، و«جانجازارا» حبيس زنزانته المظلمة، التي لا تعرف نور الشمس، وكان يقتات على فتات الخبز وقطع الحلوى التي زودته بها الجرذان. وبفضل هذا

الكسل والظروف تحوّل جسده إلى كتلة حمراء هائلة وضخمة من اللحم الذي يصعب معرفة شكله. وهكذا مرت عشر سنوات بالتمام والكمال، كما جاء في طالعه.

وفي الأمسية الأخيرة من السنة العاشرة، تسلل ثعبان إلى غرفة نوم الأميرة واستل وتمكن من لدغها. كانت الابنة الوحيدة للملك. فطلب على الفور إحضار كافة معالجي لسعات الأفاعي. ووعد بإعطاء نصف مملكته وأن يزوج ابنته ممن يعيدها إلى الحياة. قام أحد الخدم الذي سمع مرات عديدة صرخات «جانجازارا»، بإبلاغ الملك بالأمر.

أمر الملك بتفتيش الزنزانة على الفور. فوجدوا رجلاً جالساً فيها. كيف تمكّن من أن يحيا كل هذا الزمن الطويل في زنزانة؟ همس البعض من أنه لابد أن يكون من الصالحين. هكذا دار النقاش في أثناء نقلهم «جانجازارا» لمقابلة الملك.

وما إن رأى الملك «جانجازارا» حتى خرّ مغشياً عليه إلى الأرض، فقد صعقته هيبته وعظمته، ومنحته سنوات السجن العشر في زنزانة تحت الأرض شيئاً من طهارة الجسد. كان لابد من حلاقة شعره أولاً لكي يتمكنوا من رؤية وجهه. تضرّع إليه متوسلاً العفو عن ذنبه السابق، وطلب منه أن يعيد الحياة إلى ابنته.

«خلال ساعة، أحضر لي كل جثث الرجال والماشية، الميتة منها والمحتضرة، وتلك التي بقيت دون حرق أو دفن ضمن نطاق مملكتك، وسأحييها جميعاً». تلك كانت الكلمات التي نطق بها «جانجازارا».

في كل دقيقة، تدفقت عربات ملأى بجثث الناس والماشية. وقيل إن القبور قد نبشت، واستخرج الموتى الذين ماتوا ودفنوا قبل يوم أو يومين وأرسلوا لكي تعاد لهم الحياة. وما إن وصل الجميع، أخذ «جانجازارا» وعاءً مليئاً بالماء وأخذ يرشه عليهم جميعاً، وهو يفكر في اللحظة نفسها بالملك الثعبان والملك النمر. نهض الجميع من سباتهم العميق وعادوا إلى منازلهم. وأعيدت الحياة إلى الأميرة هي الأخرى، لم يعرف فرح الملك حدوداً، ولعن اليوم الذي سجنه فيه، ولام نفسه على تصديق كلام الصائغ، وعرض على «جانجازارا» يد ابنته وكل مملكته، بدلاً من نصفها، كما وعد. لم يقبل «جانجازارا» شيئاً، ولكنه طلب من الملك أن يأمر بجمع كل رعاياه في غابة قرب المدينة وقال: «هناك سأنادي على كل النمور والثعابين وأصدر لها أمراً عاماً».

اجتمع أهل المدينة، عند الغروب. جلس «جانجازارا» صامتاً للحظة، وتذكر ملكي النمور والثعابين فحضرا فوراً بمعية

جيوشهما. وبدأ الناس بالهرب عند مشاهدة النمور. طمأنهم «جانجازارا» على سلامتهم، ومنعهم من الهروب.

أسبغ عليه ضوء المساء الرمادي، ولون بشرته البهي، والرماد المقدس الذي رش عليه جسمه بسخاء، وجلوس النمور والأفاعي باستكانة عند قدميه، أسبغ عليه الهيبة الحقيقية للإله «جانجازارا». إذ من غيره يستطيع بفعل نطق كلمة واحدة أن يأمر جيوشاً جرارة من النمور والأفاعي، هكذا قال بعض الناس. وقال آخرون «دعك من هذا. قد يكون سحراً. فهذا ليس بالشيء العظيم، وأن يعيد الحياة لأعداد هائلة من الموتى، فهذا يثبت أنه «جانجازارا».

تساءل ابن العرّاف موجهّاً حديثه للنمور والأفاعي: «لماذا يا أولادي تزعجون رعايا أوجيني المساكين؟ اسمعوا مني، وتوقفوا عما ترتكبونه من فظائع». وجاءه الرد من ملك النمور «لَم يحبس هذا الملك الوضيع إنساناً كريماً مثلك، مصدقاً كلمة مَن صائغ بأنك أنت قاتل أبيه؟ لقد أخبره الصيادون أن نمراً اختطف أباه. أنا كنت رسول الموت الذي وجه لطمة لرقبته. أنا الذي فعلتها، وأعطيت التاج لفضيلتكم. لم يسأل الأمير، ثم قام بسجنك فوراً. كيف نتوقع عدالة من ملك غبي كهذا؟ وما لم يعتمد معياراً أفضل للعدالة، فسنواصل عملية التدمير».

وبعد أن سمع ذلك، لعن الملك اليوم الذي صدّق فيه كلام الصائغ، وضرب على رأسه، وقطّع شعره، وبكى وناح على ما ارتكبه من جرم، وطلب المغفرة آلاف المرات، وأقسم بأن يحكم بالعدل من ذلك اليوم. ووعد ملكي النمور والثعابين بمراعاة قسمهما طالما سادت العدالة، وغادرا. وهرب الصائغ بجلده. لكن ألقى جنود الملك القبض عليه، ولكن «جانجازارا» الكريم عفا عنه، بعد أن أكتسب بقوته هيبة عظيمة. وعاد الجميع إلى بيوتهم.

ألحّ الملك على «جانجازارا» بأن يقبل الزواج من ابنته، فوافق على ذلك، ولكن ليس في حينها، بل لاحقاً. فقد رغب في الذهاب لرؤية شقيقه الأكبر أولاً، ثم يعود ويتزوج من الأميرة. وافق الملك، وترك «جانجازارا» المدينة في ذلك اليوم ومضى عائداً إلى دياره.

وحدث أنه أخذ طريقاً خطأً من دون أن يدري، وكان عليه أن يمر بالقرب من شاطئ بحر. وصادف أن أخاه الأكبر كان هو الآخر في طريقه إلى بيناريس متخذاً الطريق نفسها. فالتقيا وعرف أحدهما الآخر، حتى على بعد مسافة. تعانقا ووقفا صامتين وقد غلبهما الفرح. وكانت سعادة

«جانجازارا» كبيرة جداً حتى إنه مات من شدة الفرح.

كان الأخ الأكبر عابداً مخلصاً لجانيشا[1]. وكان ذلك يوم جمعة، وهو يوم مقدس عند ذلك الإله. أخذ الشقيق الأكبر جثمان أخيه إلى أقرب معبد ونادى عليه. حضر الإله وسأله عما يريد فقال: «مات أخي المسكين ورحل، وهذا جثمانه. أرجو أن تحتفظ به حتى أنهي صلاتي. لأني إن تركته في أي مكان آخر، فقد تخطفه الشياطين. وبعد أن أنتهي من المناسك، سأعود وأحرق الجثة». وبعد أن ترك الجثمان لدى الإله جانيشا، ذهب لكي يتهيأ لأداء الطقوس. وقام جانيشا بتسليم الجثة إلى أتباعه، وطلب منهم أن يحافظوا عليها، ولكنهم بدلاً من ذلك ابتلعوها.

وبعد أن انتهى من عبادته، طلب الأخ الأكبر الجثة من الإله، الذي نادى أتباعه، فحضروا أمامه مذعورين، خشية غضب سيدهم. وبالفعل غضب منهم غضباً شديداً.

واستشاط الأخ الأكبر غضباً حين لم يجد جثة أخيه، فقال معاتباً: «أهكذا تكافئني على إيماني العميق بك؟ أنت لا تقدر

(1) أحد أشهر الآلهة وأكثرها عبادة في الهندوسية، وهو يعرف بأنه إله إزالة العقبات والحكمة والخير، وعادة في الأصنام الهندوسية يكون له رأس فيل (م).

حتى على إعادة جثة أخي». خجل جانيشا كثيراً من كلامه هذا. ولذلك، وبفعل قواه الخارقة، أعاد إليه «جانجازارا» حياً وليس جثة. وهكذا عادت الحياة للابن الثاني للعرّاف.

تحدث الشقيقان طويلاً عن مغامرات كل واحد منهما. وذهبا إلى أوجيني، وتزوج «جانجازارا» من الأميرة، وورث عرش تلك المملكة. وحكم لفترة طويلة، واهباً أخاه الكثير من المزايا.

وهكذا تحققت نبوءة طالعه بالكامل.

هاريسارمان

عاش ناسك براهماني في إحدى القرى، وكان اسمه «هاريسارمان»، كان فقيراً وأحمق وفي حاجة ماسة إلى العمل، وكان عنده الكثير من الأطفال، بحيث يحصد ثمار سوء أعماله في حياة سابقة.

كان يجول الشوارع متسولاً مع عائلته، وفي النهاية وصل إلى إحدى المدن، ودخل في خدمة رجل غني اسمه «شولاداتا»، وأصبح أولاده رعاة لأبقار «شولاداتا» وحراساً لبقية أملاكه، فيما عملت زوجته خادمة عنده، أما هو فقد كان يعيش بالقرب من منزله، ويعمل خادماً وحارساً. وفي أحد الأيام أقيم حفل بمناسبة زواج ابنة «شولاداتا» وحضره عدد كبير من أصدقاء العريس والمدعوين. وكان «هاريسارمان» يمنّي نفسه أن يملأ معدته حتى الحنجرة بالسمن واللحم وبكل ما لذّ وطاب، وأن يحصل على الشيء نفسه لعائلته الموجودة في منزل سيده، وفي الوقت الذي كان يتوق إلى أن يحصل

على الطعام، لم يفكر به أحد. فشعر بخيبة أمل كبيرة لعدم حصوله على الطعام، وفي الليل قال لزوجته: «بسبب فقري وغبائي أعامل هنا بقلة احترام. لذلك، سأتظاهر بأني أمتلك معرفة بفنون السحر حتى أصبح موضع احترام «شولاداتا» هذا. ولذلك، حين تحين لك الفرصة، قولي له إني أمتلك معرفة السر. قال ذلك لها، وبعد أن قلب القضية في عقله، وفي أثناء ما كان الناس نياماً، سرق من بيت «شولاداتا» حصاناً كان يركبه صهر سيده. وضع الحصان في مخبأ بعيد، وفي الصباح لم يعثر أصدقاء العريس على الحصان، رغم أنهم بحثوا في كل مكان.

في الوقت نفسه امتعض «شولاداتا» من ذلك الفأل السيء، وفي أثناء البحث عن اللصوص الذين سرقوا الحصان، اقتربت زوجة «هاريسارمان» وقالت له: «زوجي رجل حكيم ماهر في التنجيم والسحر، ويستطيع أن يعيد لك الحصان، لماذا لا تطلب منه ذلك؟».

وعندما سمع «شولاداتا» ذلك، نادى على «هاريسارمان» وقال «بالأمس نسوني، واليوم يسرق الحصان، ويتذكرني الناس».

راح «شولاداتا» يسترضي البراهماني بهذه الكلمات «سامحني لأني نسيتك». وطلب منه أن يخبره عمن أخذ الحصان. رسم «هاريسارمان» شتى أنواع الرسوم التي تظاهر بأنه رسمها وقال: «وضع اللصوص الحصان على خط الحدود إلى الجنوب من هذا المكان. تجده مخفياً هناك، وقبل أن ينقل إلى مكان بعيد، قبل نهاية اليوم، اذهبوا بسرعة وأحضروه». وعندما سمعوا ذلك، هرع الكثير من الرجال وطلبوا الحصان بسرعة، وامتدحوا فطنة «هاريسارمان» الذي كرّمه كل الرجال كحكيم وعاش هناك سعيداً مكرماً من قبل «شولاداتا».

وبعد مرور الأيـام، سرق الكثير من الذهب والمجوهرات على يد لص من قصر الملك. ولأن اللص كان مجهول الهوية، أمر الملك بإحضار «هاريسارمان» على وجه السرعة على أساس أنه مشهور بالاطلاع على أسرار السحر. وعندما أمر بالحضور، حاول أن يكسب الوقت، وقال «سأخبرك غداً»، وتم وضعه في غرفة قريبة من الملك، ووضع تحت حراسة مشددة.

انتابه الحزن لأنه تظاهر بمعرفة السحر. وفي ذلك القصر كانت هناك خادمة اسمها «جيهفا» أي اللسان، وكانت قد سرقت ذلك الكنز بمساعدة أخيها من داخل القصر. وبسبب

خوفها من معرفة «هاريسارمان»، ذهبت في أثناء الليل ووضعت أذنها على باب غرفته لتكتشف ما الذي ينوي القيام به. وكان «هاريسارمان»، وهو وحيد في الداخل، يلوم في تلك اللحظة لسانه الذي نطق بمعرفة كاذبة. وقال: «أيها لسان ما الذي فعلته بسبب جشعك؟ ستلقى عقابك قريباً». وعندما سمعت جيهفا ذلك الكلام، فكرت وقد انتابها الرعب، بأن هذا الرجل الحكيم قد كشف أمرها، وتمكنت من الدخول إلى غرفته، وجلست عند قدميه وراحت تناشده: «أيها الناسك، ها أنذا، جيهفا التي كشفت أنها اللص الذي سرق الكنز، وبعد أن أخذته دفنته في حديقة خلف القصر، تحت شجرة رمان. لا تفضحني، وخذ كمية الذهب القليلة التي بحوزتي».

وحين سمع «هاريسارمان» ذلك قال لها متباهياً: «اخرجي. أعرف كل ذلك، فأنا مطلع على الماضي والحاضر والمستقبل، ولكنني لن أتهمك، لأنك مخلوقة بائسة توسلت حمايتي. ولكن عليك أن تسلميني كل ما في حوزتك من الذهب». وبعد أن قال ذلك للخادمة، وافقت وغادرت مسرعة. لكن «هاريسارمان» تأمل مندهشاً: «يقرر القدر أشياء مستحيلة، وكأننا في لعبة، ذلك أنه عندما اقتربت الكارثة، من كان يعتقد أن تلك الفرصة

ستجلب لي هذا النجاح؟ وبينما كنت ألوم جيهفا (لساني)، رمت السارقة جيهفا بنفسها فجأة عند قدمي، فالجرائم الخفية تكشف عن نفسها بفعل الخوف». هكذا راح يفكر وقضى الليلة سعيداً في غرفته. وفي الصباح، أخذ الملك إلى الحديقة، وقاده إلى الكنز المدفون تحت شجرة الرمان. وقال إن اللص كان قد هرب بجزء منه، سُرّ الملك، وأعطاه إيراد الكثير من القرى.

لكن الوزير، ديفاجنانين، همس في أذن الملك قائلاً: «كيف يمكن لشخص يمتلك مثل هذه المعرفة التي لا يصلها البشر، من دون أن يدرس كتب السحر؟ تأكد يقيناً أن هذا النوع من الناس يعيش بالغش وبطريقة غير شريفة، وذلك من خلال إقامة صلات سرية مع اللصوص. وسيكون من الأفضل بكثير اختباره عن طريق حيلة جديدة».

جلب الملك إبريقاً مغطى ورمى في داخله ضفدعاً، وقال لـ «هاريسارمان»: «أيها البراهماني، إذا ما استطعت تخمين ما موجود في هذا الإبريق، فسأقدم لك إكرامية كبيرة اليوم». ولكن، عندما سمع البراهماني ذلك، ظن أن ساعته الأخيرة قد حانت، واستدعى إلى ذاكرته اسم التحبب «ضفدع» الذي كان والده يطلقه عليه في طفولته مماحكة له، وبدافع الحظ، نادى على

نفسه باسم التحبب، ناعياً قدره الشقي، وفجأة قال بصوت عال «هذا إبريق جميل لك يا ضفدع، وسرعان ما سيدمر نفسك العاجزة». وعندما سمعه الحاضرون يقول ذلك، صرخوا إعجاباً ودمدموا «آه، حكيم عظيم، يعرف حتى بمكان الضفدع». وقد سرّ الملك سروراً عظيماً، معتقداً أن كل ذلك يرجع إلى إلهام سماوي، وأعطى «هاريسارمان» المزيد من القرى، وذهباً ومظلة وعربات ملكية من كل الأنواع. وهكذا، عاش «هاريسارمان» حياة مرفهة في الدنيا.

الخاتم المسحور

أعطى تاجر ابنه ثلاثمائة روبية ليبدأ حياته بها، وأمره بأن يرحل إلى بلد آخر ويجرب حظه في التجارة. أخذ ولده المال ورحل. ولم يقطع مسافة طويلة قبل أن يلتقي بعض الرعاة يتشاجرون على كلب، وكان بعضهم يرغب في قتله. توسل إليهم الشاب ذو القلب الرقيق: «أرجوكم لا تقتلوا الكلب، سأعطيكم مئة روبية مقابله». وهكذا، أخذ صاحبنا الأحمق الكلب وواصل رحلته. ثم التقى مجموعة من الناس يتقاتلون بشأن قطة. أراد بعضهم قتلها، ولم يرغب آخرون بذلك،فقال لهم الشاب: «كلا، أرجوكم لا تقتلوها، سأشتريها منكم بمئة روبية». وبطبيعة الحال، أعطوه القطة وأخذوا النقود. ثم واصل سيره حتى وصل إلى قرية وجد فيها بعض الناس يتقاتلون على أفعى أمسكوا بها للتو، وأراد بعضهم قتلها ولم يرغب آخرون بذلك. قال الشاب: «أرجوكم لا تقتلوها، سأشتريها منكم بمئة روبية». وافق الناس على ذلك وسرّوا كثيراً.

يا له من أحمق! ترى ماذا هو فاعل بعد أن أضاع كل ما لديه من مال؟ ماذا عساه أن يفعل سوى العودة إلى أبيه؟ وبالتأكيد عاد إلى البيت.

صرخ به أبوه: «أيها الأحمق! أيها الوغد!»، عندما سمع كيف أضاع كل ماله الذي كان أعطاه إياه، «اذهب لتسكن في الإصطبلات وتكفّر عن حماقتك. لن تدخل بيتي مرة أخرى». ذهب الشاب وعاش في الإصطبل، وكان فراشه من التبن، وكان الكلب والقطة والأفعى الذين اشتراهم بثمن غال، هم رفاقه. وقد تعلقت به هذه الحيوانات، وكانت تتبعه طوال اليوم، وتنام على مقربة منه في الليل، فقد اعتادت القطة النوم عند قدميه، والكلب قرب رأسه، فيما كانت الأفعى تنام فوق جسده، إذ كان رأسها يتدلى على أحد الجانبين وذيلها على الآخر. وفي أحد الأيام قال الثعبان لسيده: «أنا ابن الراجا إندراشا، وذات يوم، عندما خرجت من باطن الأرض لأشم الهواء، أمسك بي بعض الناس وأرادوا قتلي لولا أنك وصلت في الوقت المناسب وأنقذتني، لا أعرف كيف سأتمكن من أن أرد لك عظيم جميلك. أتمنى لو تعرفت إلى والدي! ومدى سعادته بلقاء منقذ ابنه!». سأله الشاب: «وأين يعيش؟ أود رؤيته، إن أمكن».

«كلام طيب، أتـرى ذلك الجبل؟ عند سفح الجبل هناك نبع مقدّس، فلو جئت معي وغطست في ذلك النبع ستصل إلى بلاد أبي. آه، كم سيسعد بلقائك! وسيرغب بمكافئتك لذلك، ولكن كيف لنا القيام بذلك؟ ربما تسر بقبول شيء ثمين يضعه في يده. فإذا ما سألك ماذا تحبّ، تستطيع الرد: الخاتم الذي في إصبع يدك اليمين، والإناء والملعقة الشهيران اللذان تملكهما؟ وبعد أن تمتلك هذه الأشياء، لن تحتاج إلى أي شيء، لأن المرء إذا ما تحدّث إلى ذلك الخاتم فإنه سيحصل فوراً على قصر جميل ومؤثث، في حين سيزودك الإناء والملعقة بألذّ المأكولات وأكثرها ندرة». سار الرجل برفقة الحيوانات الثلاثة نحو البئر واستعد للقفز بناء على تعليمات الثعبان. قال الكلب والقطة عندما رأياه يهم بالقفز: «يا سيدي ماذا سنفعل؟ وإلى أين سنذهب». أجابهما: «انتظراني هنا، لن أذهب بعيداً، ولن أطيل الغياب». ثم قفز غاطساً إلى الماء. سأل الكلب القطة: «والآن، ماذا سنفعل؟».

ردت القطة: «يجب أن نبقى هنا، كما أمرنا سيدنا. لا تقلق بشأن الطعام. سأذهب إلى بيوت الناس وأجلب كمية كبيرة من الطعام لكلينا». وهكذا فعلت القطة وعاشا مرتاحين تماماً حتى عاد سيدهما والتحق بهما.

وصل الشاب والثعبان إلى وجهتهما بسلام. ووصلت معلومات وصولهما إلى الراجا. وأمر الأمير بإحضار ولده والغريب إليه، لكن الثعبان رفض وقال إنه لا يستطيع الذهاب إلى أبيه قبل أن يتحرر من هذا الغريب الذي أنقذه من موت مريع فصار عبداً له منذ ذلك الحين. خرج الراجا إثر ذلك وعانق ولده محيياً الغريب ومرحباً به في دياره. بقي الشاب هناك بضعة أيام تلقى خلالها الخاتم الذي كان يضعه الراجا في يده اليمنى، وإناء وملعقة، تكريماً من الأمير وعرفاناً له على إنقاذ ولده، ثم عاد. وعندما وصل إلى سطح النبع، وجد صديقيه الكلب والقطة بانتظاره. حكوا لبعضهم البعض ما مروا به من تجارب منذ آخر مرة التقوا فيها. وكانوا جميعاً سعداء. بعد ذلك ساروا إلى ضفة النهر، حيث قرروا تجربة قوى الخاتم المسحور والإناء والملعقة. تكلم ابن التاجر مع الخاتم، وعلى الفور ظهر بيت جميل وأميرة حسناء ذهبية الشعر. وتحدث إلى الإناء والملعقة، وإذا بألذ أطباق الطعام تظهر أمامهم. تزوج من الأميرة وعاشا بهناء لسنوات، حتى صباح أحد الأيام، وفي أثناء ترتيب الأميرة لزينتها، وضعت الشعيرات الساقطة في قطعة قصب فارغة من الداخل ورمتها في النهر الذي يجري تحت النافذة. طفت قطعة القصب على الماء وسارت لأميال وأخيراً التقطها

أمير ذلك البلد، ففتحها بدافع الفضول ورأى خصلة الشعر الذهبي. انطلق الأمير إلى القصر وحبس نفسه في غرفته وقرر ألا يغادرها. لقد وقع في حب المرأة ذات الشعر الذهبي التي التقط خصلة شعرها ورفض أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يتحرك حتى يأتوا بها إليه. حزن والده الملك بشأن هذا الأمر ولم يعرف ماذا يفعل، وقد خشي أن يموت ولده ويتركه من دون وريث. وأخيراً قرر أن يستشير عمته، التي كانت تعرف بأنها سعلاة ووافقت العجوز على مساعدته وطلبت منه ألا يقلق لأنها كانت متأكدة من أنها ستفلح في تزويج ابنه من تلك الفتاة الحسناء. اتخذت السعلاة شكل نحلة وراحت تطن وتطن. ساعدتها قوة حاسة شمّها في الوصول إلى الأميرة الجميلة، حيث ظهرت لها في هيئة عجوز شمطاء تحمل عكازة تتوكأ عليها. قدّمت نفسها للأميرة الجميلة قائلة: «أنا عمتك، ولم ترينني من قبل لأنني غادرت البلاد بعد ولادتك». ثم عانقت الأميرة وقبّلتها لكي تضفي المزيد من الصدق على كلماتها. خدعت الأميرة الجميلة تماماً، واستجابت لعناق السعلاة، ودعتها إلى الدخول والبقاء في البيت قدر استطاعتها، وعاملتها باحترام ورعاية، حتى إن الجنية الشريرة قالت في نفسها: «سأنجز مهمتي عما قريب». وبعد أن مضى على وجودها في البيت ثلاثة أيام، بدأت الحديث عن الخاتم المسحور

ونصحتها بأن تحتفظ به دون زوجها لأن زوجها كثير الخروج للصيد والقيام برحلات أخرى، وقد يفقد الخاتم، وعليه طلبت الأميرة الجميلة الخاتم من زوجها، الذي أعطاه إياها على الفور. انتظرت السعلاة يوماً آخر قبل أن تطلب رؤية الخاتم الثمين. وافقت الأميرة الجميلة من دون أن يخامرها أيّ شك، وعندما أمسكت السعلاة بالخاتم وبعد أن استعادت هيئة النحلة، طارت به إلى القصر حيث كان الأمير يرقد وقد أوشك على الموت، قالت له: «انهض، واخرج، ولا تحزن بعد الآن، ستظهر المرأة التي تشتاق إليها رهن إشارتك، أترى، هذه هي التعويذة التي تستطيع بواسطتها أن تجعل المرأة تقف أمامك». كاد الأمير يجن من الفرح عندما سمع هذه الكلمات، وكان شديد التوق لرؤية الأميرة الجميلة، حتى إنه تكلم إلى الخاتم على الفور، فظهر البيت بساكنته الجميلة وسط حديقة القصر، فمضى في الحال إلى الأميرة الجميلة وأخبرها بحبه الكبير، وتوسل إليها أن تكون زوجة له. وإذ وجدت أن لا مهرب أمامها، وافقت بشرط أن ينتظر شهراً واحداً. في هذا الوقت كان ابن التاجر قد عاد من رحلة الصيد وقد صدم باختفاء بيته وزوجته. لم يكن هناك سوى المكان الذي كان يعرفه قبل أن يحاول تجربة الخاتم المسحور الذي أعطاه إياه الراجا إندراشا، جلس وقرر أن ينهي حياته. فحضر الكلب والقطة

اللذان كانا قد ابتعدا واختفيا عندما شاهدا البيت يختفي، قالا: «آه يا سيدي! اصمد، فإن مصيبتك كبيرة، ولكن يمكن معالجتها، امنحنا شهراً، وسنحاول استعادة زوجتك والبيت».

قال لهما: «اذهبا، وفقكما الله في محاولتكما، وأعيدا لي زوجتي، وعندئذ أستمر في العيش».

وهكذا انطلق الكلب والقطة على وجه السرعة، ولم يتوقفا حتى وصلا إلى المكان الذي أخذت فيه سيدتهما والمنزل. قالت القطة: «قد نواجه صعوبة، انظر، لقد أخذ الملك زوجة سيدنا ومنزله، ابق أنت هنا، وسأدخل إلى المنزل وأحاول رؤيتها».

جلس الكلب فيما تسلقت القطة إلى نافذة غرفة الأميرة الجميلة، ودخلت إليها. عرفتها الأميرة فوراً، وأبلغتها بكل ما حدث لها منذ اختطافها.

وتساءلت: «لكن أليس هناك من مهرب من أيدي هؤلاء الناس؟».

أجابت القطة: «بلى، إذا استطعت أن تخبريني بمكان الخاتم المسحور».

«الخاتم في معدة السعلاة».

«حسناً، سأستعيده وما إن نحصل على الخاتم، حتى يعود كل ما كان لنا»

هبطت القطة من جدار المنزل، واستلقت قرب جحر جرذ وتظاهرت بالموت.

وتصادف أن عرساً كبيراً كان يقام في حي الجرذان في ذلك الموضع، وقد تجمعت كل الجرذان في ذلك الجحر التي كانت القطة قد نامت بالقرب منها. فقد كان الابن الأكبر لملك الجرذان على وشك الزواج وعلمت القطة بذلك، وعلى الفور خطرت لها فكرة الإمساك بالعريس وإجباره على تقديم المساعدة اللازمة. وبعد ذلك، وعندما بدأ الموكب يتدفق من الحفرة مطلقاً الصرخات والقفزات فرحاً بالمناسبة، لمحت القطة العريس وانقضت عليه: «اتركيني، اتركيني».

وتعالت الصيحات: «اتركيه، هذا يوم زفافه».

«لن أتركه حتى يقدم لي خدمة. اسمعوا. تلك السعلاة التي تعيش في ذلك البيت مع الأمير وزوجته، ابتلعت خاتماً أحتاج إليه حاجة ماسة، فلو استطعتم مساعدتي على استرجاعه، فسأطلق

سراح الجرذ من دون أن يصاب بأذى. وإن لم تفعلوا، فسيموت أميركم تحت أسناني».

قال الجميع: «حسن جداً، موافقون، إن لم نعد الخاتم، فابتلعينا جميعاً».

كان ذلك عرضاً شجاعاً. ولكنهم أنجزوا المهمة، وعند منتصف الليل، وبينما كانت العجوز الشمطاء تغط في نوم عميق، تسلل أحد الجرذان إلى جانب سريرها، وتسلق إلى وجهها وأدخل ذيله في حنجرتها، عندها سعلت السعلاة بقوة فخرج الخاتم من فمها وتدحرج على الأرض، أمسك به الجرذ على الفور وانطلق به إلى ملكه الذي سرّ كثيراً، وذهب في الحال إلى القطة التي أطلقت سراح ابنه.

وما إن استلمت القطة الخاتم، حتى عادت مع الكلب لإبلاغ سيدها بالأنباء السارة. كان كل شيء على ما يرام. ما كان عليهما سوى تسليم الخاتم له، وكان سيحدثه ويستعيد البيت والأميرة الجميلة وكانت الأمور ستعود إلى سابق عهدها من سعادة وهناء. وفكرا: «كم سيكون سيدنا مسروراً».

وأطلقا العنان لسيقانهم. وفي طريقهما، كان عليهما اجتياز أحد الأنهر الصغيرة. فسبح الكلب، وجلست القطة على ظهره. ولأن الكلب كان يشعر بالغيرة من القطة، فقد طلب منها الخاتم، وهدد بأن يرميها القطة النهر إن لم تسلمه له، عندها اضطرت القطة لإعطائه الخاتم.

كانت لحظة حزينة، إذ سرعان ما أسقطه الكلب في الماء والتقطته سمكة.

قال الكلب: «آه، ما العمل؟ ما العمل؟».

فردّت القطة علي: «ما حصل قد حصل، ويجب أن نحاول استرجاع الخاتم، وإن لم ننجح فالأجدر بنا أن نغرق أنفسنا في هذا النهر. لديّ خطة. اذهب واقتل حملاً صغيراً وائتني به».

قال الكلب: «حسناً»، وانطلق في الحال. وسرعان ما رجع ومعه حمل قتيل، وأعطاه للقطة.

دخلت القطة إلى جوف الحمل واستلقت وطلبت من الكلب أن يبتعد مسافة قليلة وأن يلتزم الهدوء. وبعد ذلك بفترة قصيرة، وصل طائر «نادهار» وهو طائر يعرف بأن نظرته كافية لتكسير عظام سمكة، وراح يحلق فوق الحمل، وفي النهاية هبط مسرعاً

ليخطفه بعيداً. عندها خرجت القطة وهجمت على الطائر وهددت بقتله ما لم يستعد الخاتم المفقود. وقد وعد الطائر بذلك على الفور، وطار في الحال إلى ملك السمك، وأمره بإجراء تحقيقات واستعادة الخاتم. وفعل ملك الأسماك ما أمره به، وتم العثور على الخاتم وأعيد إلى القطة.

قالت القطة للكلب: «هيا بنا، لقد حصلت على الخاتم».

قال الكلب: «كلا، لن آتي، ما لم تسمحي لي بأن آخذ الخاتم. أستطيع أن أحمله كما تستطيعين أنت. أعطيني إياه وإلا قتلتك».

اضطرت القطة لإعطائه الخاتم. وسرعان ما أضاعه الكلب المهمل مرة أخرى، وفي هذه المرة التقطه طائر الحدأة وطار به بعيداً.

قالت القطة مخاطبة الكلب: «أرأيت، ها نحن نفقده، بعيداً في تلك الشجرة الضخمة».

بكى الكلب قائلاً: «يا لحماقتي، ماذا فعلت؟».

فقالت القطة «أنت مخلوق أحمق، كنت أعلم أنك ستضيعه، ولكن توقف عن النباح وإلا ستخيف الطائر وتبعده إلى حيث لا نستطيع تعقّب أثره فيه».

انتظرت القطة حتى حلّ الظلام، ثم تسلقت الشجرة، وقتلت الحدأة واستعادت الخاتم. وقالت بعد أن وصلت إلى الأرض نازلة من الشجرة «هيا بنا، يجب أن نسرع. لقد تأخرنا. سيموت سيدنا حزناً وشوقاً. هيا بنا».

توسل الكلب الذي شعر بالعار من نفسه، القطة بأن تغفر له كل ما تسبب به من متاعب. وخشي أن يطلب الخاتم للمرة الثالثة. وهكذا وصلا إلى سيدهما الحزين سالمين، وأعطياه الخاتم الثمين، وفي لحظة، انقلب حزنه فرحاً، وتكلم مع الخاتم، وعاود البيت وزوجته الجميلة الظهور، وعاش وجميع من معه بسعادة وهناء.

السلحفاة الثرثارة

ولد البوذا الموعود يوماً في عائلة وزير، عندما كان البراهما داتا يحكم في بيناريس، وعندما كبر، أصبح مستشاراً للملك في الأمور الدنيوية والروحية.

كان هذا الملك ثرثاراً جداً، وعندما يتحدث، لا يترك فرصة لأحد للنطق بكلمة. وكان البوذا الموعود، يسعى للوصول إلى وسيلة لمعالجة هذه الثرثرة.

في ذلك الوقت عاشت سلحفاة في بحيرة في جبال الهيمالايا، وقد ارتبطت بطتان برّيتان كانتا تأتيان إلى البحيرة للحصول على الطعام، بعلاقة صداقة مع هذه السلحفاة. وبعد أن تعمقت صداقتهم، قالت البطتان للسلحفاة: «أيتها الصديقة، إن المكان الذي نعيش فيه، وهو الكهف الذهبي في الجبل الجميل في بلاد الهيمالايا، هو مكان جميل. هل يعجبك أن تعيشي معنا هناك؟».

«لكن كيف لي أن أصل إلى هناك؟».

«نستطيع أن نأخذك، إذا ما التزمت الصمت، ولم تخبري أحداً».

«هذا أمر سهل أستطيع القيام به».

«حسناً»، قالت البطتان، وبعد أن جعلتا السلحفاة تمسك بعصا، أخذتا طرفي العصا بين منقاريهما، وحلقتا في الهواء.

وحين رأى بعض القرويين السلحفاة تحملها بطتان، راحوا يصرخون: «بطتان بريتان تحملان سلحفاة على عصا». عندها أرادت السلحفاة أن تقول: «إذا ما قررت صديقتاي حملي، فما دخلكم أنتم، أيها العبيد التعساء».

وهكذا – وكانت السلحفاة صارت فوق القصر الملكي في مدينة بيناريس بفضل الطيران السريع للبطتين البريتين – تركت العصا التي كانت تعض عليها، وسقطت في الباحة المفتوحة، وانشطرت إلى نصفين.

انتقل الملك بصحبة البوذا إلى المكان، محاطاً بحاشيته، وراح ينظر إلى السلحفاة، ثم سأل البوذا: «يا معلم، كيف حدث وأن سقطت السلحفاة هنا؟».

فكر البوذا المعلم في الأمر ثم قال: «لطالما تقت إلى ذلك، وحلمت بأن أنفع الملك، فسعيت إلى العثور على وسيلة للقيام بذلك. لابد من أن السلحفاة أقامت صداقة مع البط البري، ولابد من أن البط هو الذي طلب منها أن تعضّ على العصا، وطار عالياً في الهواء ليأخذها إلى التلال. ولكن، ولأنها لا تستطيع التحكم بلسانها، وحين تسمع أحدهم يتكلم، لابد من أنها أرادت أن تقول شيئاً، وبذلك وقعت عن العصا، وهكذا ماتت».

وبعد أن انتهى من الإيضاح أضاف المعلم: «حقاً، أيها الملك أولئك الذين يسمون بالمهذارين، أولئك الذين لا نهاية لكلامهم، تنتهي بهم الأمور إلى حال مؤسف كهذا». ثم أنشد :

«حقاً لقد قتلت السلحفاة نفسها من كثرة الكلام،

رغم أنها كانت تضع العصا في فمها،

بكلمة قتلت نفسها.

انظروا إليها الآن

مخلوقة قوية بامتياز

لا تنطق سوى كلمات حكيمة، في وقتها،

أترون كيف بفعل الثرثرة

سقطت السلحفاة إلى هذا المصير المأساوي».

فهم الملك أن البوذا كان يلمّح إليه، وقال «أيها المعلم، هل تقصدنا بكلامك؟».

فتحدث المعلم بصراحة وقال: «أيها الملك العظيم، سواء أكنت أنت المقصود أم غيرك، فإن كل من يتجاوز الحدود في كلامه، يلقى مثل هذا المصير المحزن».

بعد ذلك، ضبط الملك نفسه، وأصبح مقلاً في كلامه.

مئة ألف روبية مقابل نصيحة

كان هناك براهماني أعمى وزوجته يعتمدان في عيشهما على ولدهما. وكان الولد الشاب يخرج كل يوم ويحصل ما يستطيع الحصول عليه عن طريق التسوّل. واستمر هذا الوضع لفترة من الزمن، إلى أن سئم الشاب تماماً هذه الحياة الشقية، وقرر أن يذهب ويجرب حظه في بلد آخر. أبلغ زوجته بنيته وأمرها بأن تتدبر بطريقة أو بأخرى أمور العجوزين خلال الأشهر القليلة التي سيغيب فيها ورجاها بأن تجهد نفسها في ذلك خشية أن يغضب والداه ويصبّا عليه لعنتهما.

في صباح أحد الأيام انطلق حاملاً بعض الطعام في زوادته وسار لأيام حتى وصل إلى عاصمة البلد المجاور. وهنا ذهب وجلس أمام دكان أحد التجار وسأله المساعدة.

سأله التاجر عن المكان الذي أتى منه، وسبب مجيئه، وعن طبقته الاجتماعية، فأجاب أنه براهماني، وأنه كان يتجول هنا وهناك مستجدياً العيش له ولزوجته وأبويه.

نصحه التاجر بعد أن تأثر بحاله، بأن يزور ملك البلد المعروف بكرمه وعطفه، وعرض عليه أن يرافقه إلى البلاط. في ذلك الوقت، تصادف أن الملك كان يبحث عن براهماني لكي يدير شؤون معبد ذهبي كان الملك قد انتهى للتو من بنائه. وكان جلالة الملك في غاية السعادة ولذلك، عندما شاهد البراهماني وسمع بأنه طيب ونزيه، أمره بأن يتولى مسؤولية المعبد، وأمر له بخمسين كيس من الأرز ومئة روبية تدفع له كل عام كأجر.

بعد ذلك بشهرين، غادرت زوجة البراهماني المنزل وخرجت باحثة عن زوجها لأنه لم تصلها منه أي أخبار.

ولحسن المصادفة وصلت إلى المكان نفسه الذي كان زوجها قد وصل إليه حيث سمعت أنه صباح كل يوم، وفي المعبد الذهبي، تمنح روبية ذهبية باسم الملك لأي متسول يختار الذهاب إليه. وبذلك، ذهبت صباح أحد الأيام إلى ذلك المكان والتقت زوجها الذي سألها: «لماذا جئت إلى هنا؟ لماذا تركت أبويّ، ألا تهتمين أنهما يمكن أن يلعناني وأموت؟ عودي فوراً، وانتظري عودتي».

قالت المرأة: «كلا، كلا، لا أستطيع العودة لأتضور جوعاً وأرى والديك يموتان. ليس لدينا حبة أرز واحدة في البيت».

رد عليها البراهماني متعجباً: «يا إلهي!». ثم أضاف: «خذي هذه» وكتب سطوراً قليلة على ورقة سلمها إياه، وقال: «أعطيها للملك، وسترين أنه سيعطيك مئة ألف روبية». وغادرت المرأة.

وعلى تلك الورقة كتبت ثلاث نصائح:

الأولى، إذا ما سافر المرء ووصل إلى أي مكان غريب ليلاً، فليحذر حيث ينام، ولا يغلق عينيه، خشية أن يقتل.

ثانياً، إذا كان لدى الرجل أخت متزوجة، ويزورها وهو ثري، ستستقبله بهدف ما يمكن أن تحصل عليه منه، ولكن إن زارها وهو في حالة فقر، ستتجهّم بوجهه وتتنكر له.

ثالثاً، إذا ما اضطر رجل للقيام بأي عمل، يجب عليه أن ينفذه بنفسه، وينجزه بقوة ومن دون خوف.

وبعد أن وصلت إلى بيتها، أخبرت زوجة البراهماني أبويه بلقائها مع زوجها، وعن ورقة النصيحة الغالية التي أعطاها لها، ولأنها لم تحب أن تذهب هي بنفسها للقاء الملك، أرسلت أحد أقاربها. قرأ الملك الورقة، وأمر بجلد الرجل وطرده. وفي اليوم التالي أخذت زوجة البراهماني الورقة، وفي أثناء سيرها إلى «الداربار» (القصر)، قابلها ابن الملك وهي تقرأ في الورقة،

وسألها عما تقرأه فأجابته أنها كانت تحمل في يدها ورقة تحتوي على نصائح تساوي قيمتها مئة ألف روبية.

طلب منها الأمير أن تريه الورقة، وبعد أن قرأها أعطاها «بروانة» مقابل ذلك، وأقفل عائداً على حصانه، شكرته كثيراً المرأة المسكينة، وفي ذلك اليوم اشترت كميات كبيرة من المؤونة تكفيهم لفترة طويلة من الزمن.

وفي المساء حكى الأمير لأبيه قصة لقائه تلك المرأة وشرائه تلك الوريقة. ظن أن أباه سيمتدح ذلك الفعل، ولكنه لم يفعل.

بل إن الملك كان أكثر غضباً من قبل، وطرد ولده من البلاد. ودّع الأمير والدته وأقرباءه وأصدقاءه، وانطلق على ظهر حصانه راحلاً على غير هدى. وحين هبط الليل، وصل إلى مكان ما حيث التقاه رجل ودعاه لينام في بيته، وقبل الأمير الدعوة ولقي معاملة تليق بأمير، وفُرشت له الوسائد والأفرشة، ليجلس عليها وقدم له أفخر الطعام.

راح يفكر متأملاً بينما استلقى ليرتاح: «هناك شيء من الصحة في الجزء الأول من النصيحة التي أعطتها لي تلك المرأة. لن أنام الليلة».

كان قراره صحيحاً، ففي منتصف الليل نهض الرجل الذي استضافه، حاملاً سيفاً بيده، واندفع باتجاه الأمير قاصداً قتله ولكن الأمير نهض وقال «لا تذبحني، ما الذي ستجنيه من موتي؟ فلو قتلتني، ستندم على ذلك فيما بعد، ندامة الرجل الذي قتل كلبه».

سأله: «أي رجل؟ وأي كلب؟».

قال الأمير «سأخبرك. لو ناولتني ذلك السيف».

أعطاه الرجل السيف وبدأ الأمير بسرد حكايته:

«كان يا ما كان هناك تاجر ثري، وكان لديه كلب محبب. وفجأة انحدر به الحال إلى الفقر واضطر إلى فراق كلبه. واقترض خمسة آلاف روبية من أحد التجار، تاركاً الكلب لديه كضمان، وبدأ بالعمل مرة أخرى. بعد ذلك بفترة ليست بالطويلة، اقتحم لصوص متجر التاجر وسرقوه بالكامل. ولم يبق في المتجر ما يساوي بالكاد عشر روبيات إلا أن الكلب الوفي كان يعرف ما يجري، وذهب وتعقّب اللصوص، ورأى أين دفنوها، ثم عاد. وفي الصباح كان هناك بكاء وعويل في بيت التاجر عندما عرفوا بما حدث. وكاد التاجر نفسه أن يجن. فيما واصل الكلب الجري نحو الباب، وراح

يشدّ قميص سيده، وكأنه يريد أن يقول له أن يخرج. وفي آخر الأمر، اقترح أحد الأصدقاء، أن الكلب ربما كان يعرف شيئاً عن مكان المسروقات، ونصح التاجر بأن يتبع خطاه. وافق التاجر وتبع الكلب حتى وصل إلى المكان نفسه الذي خبأ فيه اللصوص المسروقات. وهنا راح الحيوان يخربش وينبح، وأظهر بطرق مختلفة أن المسروقات مدفونة هناك. راح التاجر وأصدقاؤه يحفرون في المكان، وسرعان ما ظهرت كل المسروقات دون أدنى نقص فيها. سرّ التاجر كثيراً. وعند عودته إلى البيت أعاد الكلب في الحال إلى سيده القديم مع رسالة يشيد فيها بذكاء الحيوان ويتوسل بصديقه أن ينسى القرض وأن يقبل مبلغ خمسة آلاف روبية إضافية كهدية.

وعندما رأى هذا التاجر كلبه عائداً مرة أخرى، فكر في نفسه قائلاً: «واأسفاه!، صديقي يريد نقوده، كيف لي أن أدفع المبلغ له؟ لم يتح لي الوقت الكافي لأتخلص من خسائري الأخيرة، سأقتل الكلب قبل أن يصل عتبة الدار، وأقول إن شخصاً آخر قتله. وهكذا أضع نهاية لدَيني. فمن دون الكلب، يسقط الدين. وبذلك، أسرع وقتل الكلب المسكين، عندها سقطت الرسالة من تحت طوق الكلب فالتقطها التاجر وقرأها. ويا لحزنه وخيبة أمله حين اكتشف حقائق الأمور!».

واصل الأمير حكايته وقال «احذر، خشية أن تفعل ذلك وتبقى طوال حياتك تقول يا ليتني لم أفعل».

وفي اللحظة التي أنهى فيها الأمير قصته، كاد الصباح أن ينبلج، وخرج مغادراً، بعد أن منح الرجل مكافأة.

رحل الأمير إلى بلاد صهره. وتنكر بزي ناسك (جوجي)، وجلس قرب شجرة بالقرب من القصر، متظاهراً بالاستغراق في العبادة. وصلت أخبار هذا الرجل الورع إلى أذني الملك، الذي أبدى اهتماماً به، لأن زوجته كانت مريضة جداً، وكان الملك يبحث عن «الحكماء» لمعالجتها ولكن من دون جدوى. وظن الملك أن هذا الرجل التقي ربما يستطيع أن يفعل شيئاً لها. ولذلك أرسل في طلبه، لكن «الجوجي» رفض أن يطأ قصر ملك، قائلاً إن مسكنه هو الهواء الطلق، وإنه إذا ما أراد جلالة الملك أن يقابله، فعليه أن يأتي بنفسه ويجلب معه زوجته إلى ذلك المكان. أخذ الملك زوجته وأتى بها إلى «الجوجي». أمرها الرجل التقي أن تسجد أمامه وعندما بقيت على ذلك الوضع لحوالي ثلاث ساعات، أمرها بأن تنهض وتذهب، لأنها شفيت.

وفي المساء سادت حالة من الرعب في القصر لأن الملكة كانت قد فقدت مسبحتها المصنوعة من اللؤلؤ ولم يعلم أحد أي شيء

عنها. بعد ذلك، ذهب أحدهم إلى «الجوجي» ووجدها على الأرض في المكان نفسه الذي سجدت فيه الملكة. وعندما سمع الملك بذلك، استشاط غضباً، وأمر بإعدام الناسك «الجوجي». إلا أن ذلك الأمر الصارم لم ينفذ لأن الأمير قام برشوة الرجال وهرب من البلاد، ولكنه أدرك أن الجزء الثاني من النصيحة كان صحيحاً.

كان الأمير يمشي مرتدياً ملابسه الخاصة به، والتقى خزافاً يبكي ويضحك بالتناوب مع زوجته وأولاده. قال الأمير: «يا له من أحمق، ما الأمر؟ إذا كنت تضحك فلم تبكي؟ وإذا كنت تبكي، فلم تضحك؟».

رد الخزاف: «لا تزعجني، وما شأنك أنت؟».

قال الأمير: «سامحني ولكني أرغب في معرفة السبب».

قال الخزاف: «السبب هو أن ملك هذه البلاد له ابنة يجبرها على الزواج كل يوم لأن كافة أزواجها يموتون في الليلة الأولى من بقائهم معها. لقد مات كل شباب المدينة تقريباً وسيتم قريباً استدعاء ولدنا. ونحن نضحك من سخرية الأمر - ابن خزاف يتزوج أميرة - ونبكي من النتيجة المروعة لذلك الزواج - ما الذي يمكن أن نفعله؟».

«فعلاً، هذا هو المضحك المبكي، ولكن كفوا عن البكاء، «سأتبادل الأماكن مع ولدك، وسأتزوج من الأميرة بدلاً منه، ما عليك سوى أن تزودني بالملابس المناسبة وتهيئني للمناسبة».

أعطاه الخزاف ملابس وحلي جميلة وذهب الأمير إلى القصر. وفي الليل تم اقتياده إلى جناح الأميرة. قال الأمير محدّثاً نفسه: «جاءت ساعة الرعب، هل سأموت مثل عشرات الشبان الذين سبقوني؟».

أمسك سيفه بقوة واستلقى على سريره، معتزماً البقاء يقظاً طوال الليل ليرى ما الذي يمكن أن يحدث. وفي منتصف الليل رأى ثعبانين يخرجان من منخري الأميرة، يتسللان نحوه، ويسعيان إلى قتله مثل الذين سبقوه، لكنه كان مستعداً لهم، فأمسك سيفه وعندما وصل الثعبانان إلى سريره ضربهما وقتلهما. وفي الصباح جاء الملك كعادته ليتساءل، ودهش من سماع ابنته والأمير يتحدثان، جذلين معاً وقال: «بالتأكيد، لابد من أن يكون هذا الرجل زوجاً لها، لأنه الوحيد الذي يستطيع العيش معها».

وبعد أن دخل الملك إلى الغرفة، سأله: «من أين أنت؟» ومن أنت؟».

أجاب الأمير: «أيها الملك، أنا ابن ملك يحكم بلاد كذا وكذا».

سُرّ الملك لسماع ذلك وطلب من الأمير أن يبقى في قصره، وعيّنه وريثاً على العرش. بقيّ الأمير في القصر أكثر من سنة ثم طلب الإذن لزيارة بلاده وقد منح هذا الإذن. وأعطاه الملك فيلة وخيولاً ومجوهرات وكثيراً من المال لتغطية نفقات السفر وكهدايا لأبيه وشرع الأمير بالسفر.

وفي طريقه كان عليه أن يمر ببلاد صهره الذي كنا قد ذكرناه. وصلت أخبار وصوله إلى أسماع الملك، الذي خرج للقائه مقيد اليدين بحبل وقد شد رسن إلى رقبته. وتوسل إليه متضرعاً ليبقى في قصره، وأن يقبل ضيافته البسيطة. وبينما كان الأمير في القصر، شاهد أخته، التي حيّته بالابتسامات والقبلات. وحين غادر، ذكّرها بطريقة معاملتها وزوجها له في زيارته الأولى، وكيف هرب، ثم أعطاها اثنين من الفيلة وحصانين جميلين وخمسة عشر جندياً، ومجوهرات بقيمة عشرة آلاف روبية.

بعد ذلك رحل إلى موطنه، وأبلغ أمه وأبيه بوصوله. وآسفاه، كان أبواه قد فقدا البصر من كثرة البكاء على فقده.

قال الملك «دعوه يدخل، فليضع يداه على عيوننا، وسنستعيد البصر». دخل الأمير، فحيّاه والداه بشوق عظيم، ووضع يداه على عيونهما، فعاد إليهما البصر.

حكى الأمير كل ما جرى له لأبويه وكيف أنقذته تلك النصيحة التي كان اشتراها من المرأة البراهمانية، عندها عبّر الملك عن حزنه على طرد ولده، وعم الفرح والسلام من جديد.

الثعبان الذي يهب ذهباً

في مكان ما عاش ناسك براهماني اسمه هاريداتا وكان يعمل مزارعاً لكن عمله في الزراعة لم يجلب له الكثير.

وفي أحد الأيام وبعد أن انتهى من العمل الشاق لساعات تحت الحرارة الشديدة، استلقى في ظل شجرة لينال قسطاً من النوم. وفجأة رأى ثعباناً كبيراً يخرج زاحفاً من جحر على مقربة منه. قال في نفسه: «بالتأكيد هذا الثعبان هو الإله الراعي لهذا الحقل، ولم أقدم له ولاء الطاعة. وهذا هو سبب خيبة عملي في الزراعة. سأذهب في الحال وأقدم له الولاء والاحترام».

وحين حزم أمره، أخذ شيئاً من الحليب، وصبه في وعاء، واتجه نحو كثيب النمل وقال بصوت عالٍ: «يا راعي هذا الحقل!، طوال هذا الوقت لم أكن أعلم أنك تسكن هنا. وهذا هو السبب الذي جعلني أتخلف عن تقديم الولاء لك. أرجوك سامحني».

صبّ الحليب في الجحر وعاد إلى منزله.

وفي الصباح التالي، عاد وإذا به يرى ديناراً ذهبياً في الإناء، ومن ذلك الوقت، تكرر ذلك الشيء في كل يوم، كان يقدم الحليب للثعبان، فيجد ديناراً ذهبياً.

وفي أحد الأيام كان على البراهماني أن يذهب إلى القرية، ولذلك أمر ابنه أن يأخذ الحليب إلى كثيب النمل.

حمل ولده الحليب وصبه في الجحر، وعاد إلى البيت. وفي اليوم التالي، عاد إلى المكان فوجد ديناراً، فقال في نفسه: «أكيد أن هذا الكثيب مليء بالدنانير الذهبية، سأقتل الثعبان، وآخذ كل الدنانير لي».

وهكذا في اليوم التالي، وفي أثناء تقديم الحليب للأفعى، ضربه ابن البراهماني على رأسه بهراوة لكن الثعبان نجا من الموت بقدرة قادر، وعضّ وهو في حالة غضب ابن البراهماني بأنيابه الحادة فسقط الولد ميتاً في الحال، وأقام له أهله محرقة جنائزية في مكان ليس ببعيد عن الحقل وأحرقوه حتى صار رماداً.

بعد ذلك بيومين عاد الأب وعندما علم بمصير ولده حزن ونعى، ولكن بعد فترة من الزمن، أخذ كأس الحليب واتجه إلى

كثيب النمل، وراح يمتدح الثعبان بصوت عال.

وبعد فترة طويلة ظهر الثعبان، ولكنه لم يخرج رأسه من الجحر إلا قليلاً، قال للبراهماني: «إنه الجشع الذي أتى بك إلى هنا، وجعلك تنسى فقدان ولدك. ومن الآن فصاعداً أصبحت الصداقة بيننا مستحيلة. ضربني ابنك بفعل جهالة الشباب، ولدغته لدغة مميتة. كيف لي أن أنسى الضربة بالهراوة؟ وكيف لك أن تنسى ألم وحزن فقدان ولدك؟» وبعد أن انتهى من كلامه، أعطى الثعبان لؤلؤة ثمينة للبراهماني واختفى. ولكنه قبل أن يبتعد قال مخاطباً المزارع: «لا تعد بعد اليوم».

أخذ البراهماني اللؤلؤة، وعاد إلى بيته، لاعناً حماقة ولده.

ابن السبع ملكات

عاش في قديم الزمان ملك له سبع زوجات لم تنجب له أياً منهن ولداً. وكان ذلك سبب حزنه الشديد خاصة عندما يتذكر أنه بعد موته لن يرث أحد من صلبه الحكم بعده.

تصادف أنه في أحد الأيام جاء رجل مسكين ليقابل الملك وقال له: «صلواتك مسموعة، وستتحقق رغبتك، وستحمل إحدى ملكاتك السبع ولداً».

لم تعرف فرحة الملك حدوداً بهذا الوعد، وأصدر أوامره بالتحضير لاحتفالات تليق بالحدث القادم في طول البلاد وعرضها. وفي أثناء ذلك عاشت الملكات السبع برفاه في قصر منيف، تخدمهن مئات الخادمات، ويأكلن حتى التخمة، وينعمن بالحلوى وبكل ما لذ وطاب.

وكان الملك مولعاً بالصيد، وفي أحد الأيام، وقبل أن يخرج، أرسلت له الملكات السبع رسالة مفادها: «نرجو من سيدنا ألا يذهب للصيد باتجاه الشمال اليوم، لأننا رأينا أحلاماً سيئة، ونخشى أن يحل بنا السوء».

وعد الملك لتهدئة مخاوفهن بأن يحترم رغباتهن، وانطلق جنوباً، ولكن الحظ لم يحالفه، رغم أنه حاول الصيد جاهداً، إلا أنه لم يصطد شيئاً. ولم يحالفه الحظ شرقاً أو غرباً، ولكونه عاشقاً لرياضة الصيد، وعازماً على عدم العودة إلى البيت خالي الوفاض، نسي كل شيء يتعلق بوعده، وتحول شمالاً. في البداية لم يوفق، وفي اللحظة التي قرر فيها أن يتخلى عن الصيد ذلك اليوم، مر من أمامه أيل أبيض ذو قرون ذهبية وحوافر فضية، واختفى داخل الدغل، لقد مر بسرعة كبيرة بحيث أنه بالكاد رآه. لكن تملكته رغبة جامحة بالإمساك بذلك الكائن الغريب والجميل وأمر حراسه على الفور بأن يشكلوا حلقة حول الأجمة لكي يحاصروا الأيل وبعد أن ضيقوا الخناق، تقدم إلى الأمام حتى تمكّن وبوضوح من أن يرى الأيل الأبيض وهو يلهث في الداخل. تقدم مقترباً منه، حتى اللحظة التي فكر في أن يمسك بالمخلوق الجميل الغريب، قفز قفزة قوية، ومر برشاقة من فوق رأس الملك، وهرب باتجاه الجبال. فهمز الملك حصانه وتبعه بأقصى سرعة. وجرى وجرى تاركاً بطانته خلفه على مسافة بعيدة، من دون أن ينشغل عن متابعة الأيل الأبيض، تاركاً اللجام سائباً حتى وجد نفسه في وادٍ لا مخرج منه، عندها لجم حصانه. وشاهد أمامه كوخاً بائساً، دخل إليه، بعد أن نال منه التعب إثر هذه المطاردة الطويلة غير المثمرة.

وجد هناك عجوزاً تمارس الغزل فطلب منها شربة ماء. فنادت العجوز على ابنتها، وفي الحال، خرجت من إحدى الغرف الداخلية فتاة غاية في الجمال والجاذبية، بيضاء ذات شعر ذهبي، حتى إن الملك تسمّر في مكانه من هول رؤية مثل هذا المشهد الجميل في كوخ بائس كهذا.

قرّبت إناء الماء إلى شفتي الملك وفيما يشرب نظر في عينيها، واتضح له أن الفتاة ليست سوى الأيل الأبيض ذي القرون الذهبية والقوائم الفضية الذي كان يطارده.

سحره جمالها، فخرّ على ركبتيه، متوسلاً لها أن تعود معه كزوجة له، ولكنها لم تفعل شيئاً سوى أن تضحك قائلة إن سبع ملكات هو عدد كبير لا يستطيع حتى ملك من تدبر أمره.

ولأنه اعتاد ألا يرفض له طلب، ابتهل إليها أن تعطف عليه، واعداً إياها بتلبية كل رغباتها، فردت عليه، أعطني عيون ملكاتك السبع، عندها ربما أصدق أنك جاد في ما تقول».

فتن الملك بجمالها الساحر، فعاد إلى القصر في الحال، وسمل عيون زوجاته السبع، وبعد أن ألقى بالبائسات العمياوات في حبس مثير للاشمئزاز لا مخرج منه، انطلق مرة أخرى متوجهاً إلى الكوخ الكائن في الوادي، حاملاً معه نذره الرهيب. إلا أن الفتاة

لم تفعل سوى أن تضحك ضحكة تنم عن القسوة وهي ترى العيون الأربع عشرة، وبعد أن نظمت العيون في شكل قلادة، وضعتها حول رقبة أمها، وقالت: «البسيها يا أمي العزيزة تذكاراً لي في أثناء غيابي في قصر الملك».

عادت مع الملك المسحور عروساً وأعطاها ملابس وجواهر ملكاته السبع لترتديها، وقصرهن لتسكن فيه، وعبيدهن ليخدمنها، وأصبح لديها كل ما تتمنى أن تمتلكه حتى الساحرات.

وبعد أن سملت عيون الملكات البائسات السبع ورمين في السجن، ولد طفل لأصغر الملكات.

كان طفلاً وسيماً لكن الملكات الأخريات شعرن بالغيرة الشديدة وهنّ يرين أصغرهن تحظى بمثل هذا الشرف. ورغم أنهنّ لم يحببن الصبي الوسيم الصغير، إلا أنه سرعان ما أثبت فائدته لهنّ، بحيث صرن ينظرن إليه على أنه ولدهنّ.

وما أن بدأ الطفل يستطيع المشي بدأ يحفر بأظافره في الجدار الطيني لسجنهن، وخلال فترة قصيرة جداً من الزمن، تمكن من حفر ثقب كبير يكفيه ليزحف من خلاله. وعبر الثقب. كان يختفي ويعود خلال ساعة أو زهاء الساعة محمّلاً بالحلوى، التي كان يقسمها بالتساوي بين الملكات

العمياوات السبع.

وبعد أن كبر، أخذ يوسّع الحفرة، وينسل منها مرتين أو ثلاث مرات كل يوم ليلعب مع أولاد الأعيان في المدينة. لم يعرف أحد من يكون ذلك الولد الصغير، لكن الجميع أحبوه، وكان ولداً شقياً مولعاً بالحيل والألاعيب، مرحاً لمّاعاً، بحيث أنه كان دائماً واثقاً من أنه سيحصل على بعض الكعك وحفنة من الحبوب المحمصة أو على شيء من الحلوى.

وكان يجلب كل هذه الأشياء إلى أمهاته السبع، كما كان يحب أن يسمي الملكات العمياوات السبع، واللواتي عشن بفضل مساعدته لهن في السجن في حين أن العالم كله كان يظن أنهن هلكن جوعاً منذ زمن بعيد.

وعندما أصبح شاباً كبيراً، أخذ قوسه ونشابه وخرج للصيد. وصادف أن مرّ من أمام القصر الذي كانت تسكنه الغزالة البيضاء في هيبة وبهاء شريرتين، ولمح عدداً من الحمامات يرفرفن حول الأبراج الرخامية البيضاء، وبعد أن سدد على هدفه بدقة، أصاب إحدى الحمامات فسقطت ميتة، وتشقلبت في الهواء أمام النافذة حيث كانت تجلس الملكة البيضاء التي نهضت لترى ما حدث، ومن النظرة الأولى التي لمحت فيها

الشاب الوسيم الذي كان يقف وقوسه في يده، عرفت بخبرة الساحرة أن الشاب كان ابن الملك.

كادت أن تموت حسداً وحقداً، وقررت أن تتخلص من الولد دون تأخير. فأرسلت أحد الخدم لكي يحضره أمامها، وسألته إن كان يرغب في أن يبيع لها الحمامة التي أسقطها للتو.

ردّ الشاب القوي: «لا، فهذه الحمامة لأمهاتي العمياوات السبع اللاتي يعشن في السجن المقيت، واللاتي سيمتن لو لم آتيهن بالطعام».

«يا للمسكينات!»، قالت الساحرة البيضاء الخبيثة، ثم سألته: «ألا تود أن تعيد إليهن عيونهن من جديد؟ أعطني الحمامة، يا عزيزي، وأعدك بصدق بأن أطلعك على المكان الذي ستجد فيه العيون».

وبعد أن سمع ذلك، فرح الفتى أيما فرح، وتخلى عن الحمامة في الحال. عندها أخبرته الملكة البيضاء أن يذهب للقاء أمها دون تأخير ويطلب منها العيون التي ترتديها حول رقبتها في شكل قلادة.

وأضافت: «لن تخذلك وستعطيها لك»، إذا ما عرضت عليها هذه الأمارة التي كتبت عليها ما أريدها أن تفعل».

وهكذا، أعطت الفتى كسرة من إناء خزفي وكتبت عليها: «اقتلي حامل الرسالة في الحال، ورشي دمه كالماء».

ولأن الفتى ابن الأمهات السبع لم يكن يجيد القراءة، فقد أخذ الرسالة القاتلة يملؤه الفرح، وانطلق بحثاً عن أم الملكة البيضاء.

وفي أثناء رحلته مرّ بمدينة، بدا جميع سكانها غارقين في الحزن، فلم يستطع أن يمنع نفسه من السؤال عما يجري. أخبروه أن سبب ذلك هو أن ابنة الملك الوحيدة ترفض الزواج، ولذلك عندما يموت أبوها لن يكون هناك وريث للعرش. وكان الناس يخشون أنها ستفقد عقلها، ذلك على الرغم من عرض كل الشبان الوسيمين في المملكة عليها، قالت إنها لن تتزوج إلا من شخص له سبع أمهات، وهو أمر لم يسمع به أحد من قبل؟

وأمر الملك، بدافع اليأس، بإحضار كل شاب يدخل إلى المدينة أمام الأميرة، وكان ذلك محط فرح الفتى ونفاد صبره، لأنه كان في عجلة من أمره للعثور على عيون أمهاته، لكنه وجد نفسه يساق عنوة إلى غرفة الأميرة.

وما إن شاهدته الأميرة حتى تورّدت خجلاً وأدارت نظرها إلى أبيها وقالت: «أبي العزيز، هذا هو خياري».

أثارت كلماتها فرحاً وسروراً غير مسبوقين. وجن سكان

المدينة فرحاً، لكن ابن الملكات السبع قال إنه لن يتزوج من الأميرة ما لم يسمح له أولاً باستعادة عيون أمهاته.

وبعد أن سمعت العروس الجميلة قصته، طلبت منه أن يريها كسرة الخزف، لأنها كانت متعلمة وذكية جداً. وبعد أن رأت الكلمات الخبيثة المكتوبة عليها، لم تقل شيئاً، بل أخذت كسرة مشابهة لها، وكتبت عليها «اهتمي بهذا الفتى، ونفذي له كل رغباته». ثم أعادتها إلى الفتى، الذي انطلق في بحثه.

وقبل أن يصل بوقت طويل إلى الكوخ الكائن في الأجمة حيث تقيم أم الساحرة البيضاء، وهي عجوز ماكرة، راحت تتذمر مرتعبة عند قراءة الرسالة، خاصة عندما طلب منها الفتى قلادة العيون. ورغم ذلك، خلعتها وسلمتها إياه، قائلة: «في هذه القلادة ثلاث عشرة عيناً، فقد أضعت واحدة منها الأسبوع الماضي».

وكان الفتى في غاية الفرح ليحصل على أي شيء آخر، ولذلك أسرع عائداً إلى أمهاته السبع وأعطى عينين للملكات الست الأكبر ولكنه أعطى واحدة لأصغرهن وقال: «أمي الأعز، سأكون عينك الأخرى دائماً».

بعد ذلك، انطلق ليتزوج من الأميرة، كما كان قد وعد،

ولكن في أثناء مروره بقصر الملكة البيضاء، شاهد حمامات على السطح. سحب قوسه، وأطلق سهماً، فسقطت حمامة ترفرف أمام النافذة. تطلعت الملكة البيضاء وإذا بها ترى ابن الملك حياً معافى.

صرخت صرخة تنم عن الكراهية والامتعاض، ولكنها أرسلت في طلب الفتى وسألته عن كيفية عودته بهذه السرعة، وعندما سمعت حكايته عن كيفية نقل العيون الثلاث عشرة إلى البيت، وإعادتها إلى الملكات العمياوات السبع، لم تستطع أن تكبح غضبها، إلا أنها تظاهرت بأنها معجبة بنجاحه، وأخبرته أنه إذا ما أعطاها هذه الحمامة كذلك، فإنها ستكافئه ببقرة «الجوجي» الرائعة، التي يتدفق حليبها طوال اليوم، ويكوّن بحيرة بِسعة المملكة.

ودون تردد أعطاها الفتى الحمامة، وعندها، وكما حدث من قبل، أمرته أن يذهب ويطلب البقرة من أمها، وأعطته كسرة خزف كتبت عليها «اقتلي هذا الفتى من دون تأخير، ورشي دمه كالماء».

وفي طريقه، مرّ ابن الملكات السبع على الأميرة، لكي يبلغها بسبب تأخره، وبعد أن قرأت الرسالة المكتوبة على

كسرة الخزف، أعطته واحدة أخرى بدلاً عنها، بحيث أنه عندما وصل إلى بيت الساحرة العجوز وطلب منها البقرة، لم تستطع رفض طلبه ولكنها أخبرته عن الطريقة التي يجدها بها، وأمرته من بين كل الأشياء ألا يخاف الثمانية عشر ألف عفريت الذين يحرسون الكنز، وطلبت منه أن يخرج قبل أن يشتد غضبها من حماقة ابنتها في التخلي بهذه الطريقة عن العديد من الأشياء الثمينة.

فعل الفتى كما أُمر بشجاعة. وارتحل حتى وصل إلى بحيرة الحليب الأبيض، التي يحرسها ثمانية عشر ألف عفريت. وكان شكلهم مثيراً للرعب حقاً. ولكن، بعد أن استجمع شجاعته، راح يصفر بنغمة في أثناء سيره بينهم، من دون أن ينظر يميناً أو شمالاً، وفي نهاية الأمر، وصل إلى بقرة «الجوجي»، وكانت بقرة طويلة وبيضاء وجميلة، في حين كان «الجوجي» نفسه، وهو ملك العفاريت، يحلب البقرة ليلاً ونهاراً، وكان الحليب يتدفق من ضرعها من دون توقف.

صرخ «الجوجي» حين شاهد الفتى: «ما الذي تفعله هنا؟».

أجاب الفتى كما أمرته العجوز «أريد جلدك، لأن الملك

إندرا يصنع طبلاً جديداً، ويقول إن جلدك لطيف وقوي».

عندها بدأ «الجوجي» يرتعش غضباً (لأن ليس هناك من جني أو جوجي يجرأ على عدم إطاعة أوامر الملك إندار)، وبعد أن ركع عند قدمي الفتى، صاح «لو تركتني سأعطيك كل ما أملك، حتى بقرتي البيضاء الجميلة».

وافق الفتى، بعد التظاهر بالتردد لوهلة، قائلاً إنه على الرغم من كل ذلك، لن يكون صعباً أن تجد جلداً لطيفاً وقوياً مثل جلد «الجوجي» في مكان آخر. وبعد أن ساق البقرة الجميلة أمامه، انطلق الفتى عائداً إلى البيت، وقد فرحت الملكات السبع بامتلاك مثل هذا الحيوان الرائع، وعلى الرغم من قيامهن بالعمل الشاق من الصباح إلى الليل، وهنّ يصنعن القشطة ومخفوق اللبن، بالإضافة إلى بيع الحليب لصانعي الحلويات، لم يستطعن استعمال سوى نصف ما كانت تنتجه البقرة، وأصبحن أكثر ثراء بمرور الأيام.

وبعد أن اطمأن عليهن، شرع الفتى بقلب فرح في رحلة ليتزوج من الأميرة، ولكن، وفي أثناء مروره بقصر الملكة البيضاء لم يستطع مقاومة رمي سهم على بعض الحمام الذي كان يهدل على حاجز الشرفة.

فسقطت حمامة تحت النافذة حيث كانت الملكة البيضاء تجلس، وبعد أن أطلت برأسها، رأت الفتى يقف أمامها سليماً معافى، فازدادت حقداً وغضباً.

أرسلت في طلبه لتعرف كيف عاد بمثل هذه السرعة، وعندما سمعت عن مدى عطف أمها عليه، كادت أن تفقد صوابها، إلا أنها تحكمت بمشاعرها قدر الإمكان، وقالت مبتسمة ابتسامة عذبة، إنها سعدت من تمكنها من الوفاء بوعدها، وإنه لو أعطاها الحمامة الثالثة، فإنها ستقدم له خدمة أكبر مما فعلت من قبل، وستعطيه حبة الأرز التي تحمل مليون ضعف والتي تنضج في ليلة واحدة.

سرّ الفتى بالطبع من هذه الفكرة وتخلى عن الحمامة وأسرع في رحلة بحثه، حاملاً كسرة الخزف كما في المرات السابقة وقد كتب عليها: «لا تخفقي هذه المرة، اقتلي الفتى ورشي دمه كما يرش الماء».

ولكن حين مرّ بأميرته ليخبرها بما سيفعل لكي لا تقلق عليه، طلبت أن ترى كسرة الخزف كالعادة واستبدلتها بأخرى كتبت عليها: «مرة أخرى أعطي الفتى كل ما يريد، لأن دمه سيكون دمك».

والآن، وحين رأت العجوز الرسالة، وسمعت أن الفتى يريد حبة الأرز التي تعطي مليون ضعفها والتي تنضج في ليلة واحدة، انتابها غضب شديد، ولأنها تخاف ابنتها كثيراً، تحكّمت بنفسها، وأمرت الفتى بأن يذهب ويجد الحقل الذي يحرسه ثمانية عشر مليون عفريت، محذرة إياه من النظر إلى الوراء مهما كانت الأسباب بعد أن يقطف أطول سنبلة من سنابل الأرز التي تنمو في وسط الحقل.

وهكذا انطلق ابن الملكات السبع، وسرعان ما وصل إلى الحقل، الذي تنمو فيه سنبلة الأرز التي تعطي مليون ضعفها، والتي يحرسها ثمانية عشر مليون عفريت. سار بجرأة من دون أن ينظر يميناً أو شمالاً حتى وصل وسط الحقل واقتلع أطول سنبلة أرز، ولكن، في اللحظة التي كان يتوجه فيها إلى موطنه، سمع خلفه ألف صوت جميل، تصرخ بأرق النغمات: «اقلعني أنا كذلك، أرجوك، اقلعني أنا كذلك». فنظر خلفه، ويا للهول، استحال كومة صغيرة من الرماد.

مرّ الوقت ولم يرجع الفتى، شعرت الساحرة العجوز بالقلق وتذكرت الرسالة «دمه سيكون دمك». فانطلقت لترى ما حلّ به، وفي الحال وصلت إلى كومة الرماد، وبفضل معرفتها بفنون السحر عرفت ما حلّ به، فأخذت قليلاً من الماء وحوّلت الرماد

إلى عجينة وشكلتها في هيئة إنسان، ثم وضعت عليه قطرة دم من خنصرها في فمه، ونفخت عليه، وفي الحال نهض ابن الملكات السبع كما كان عليه.

فقالت له العجوز متذمرة: «لا تعص الأوامر مرة أخرى، وإلاّ تخليت عنك في المرة المقبلة. والآن اغرب عن وجهي، قبل أن أندم على ما فعلت من خير»!.

عاد الفتى فرحاً لأمهاته السبع، اللاتي، وبمساعدة سنبلة القمح هذه التي تعطي مليون ضعف منها، أصبحن أثرى الناس في المملكة. ثم احتفلن بزواج ولدهن من الأميرة الحاذقة في حفل بهي لا مثيل له حتى في الأحلام.

لكن العروس كانت من الذكاء بحيث أنها لم تكن ترغب في أن تستريح حتى تعلن عن شخصية زوجها لأبيها، وتعاقب الساحرة البيضاء الشريرة. فجعلت زوجها يبني قصراً يشبه بالتمام القصر الذي عاشت في الملكات السبع، والذي تسكنه الآن الساحرة البيضاء مترفة، وبعد أن تم تحضير كل شيء، طلبت من زوجها أن يقيم حفلاً كبيراً للملك. وكان الملك قد سمع كثيراً عن ذلك الفتى الغامض الذي له سبع أمهات، وعن ثروته الهائلة، ولذلك قبل بكل سرور الدعوة. ويا لدهشته وهو يدخل القصر،

ليجد أنه صورة طبق الأصل عن قصره في كل التفاصيل! وحين قاده مضيفه وهو يرتدي أجمل الثياب وأكثرها ثمناً، إلى القاعة الخاصة مباشرة، وجد الملكات السبع يجلسن على عروش ملكية وهنّ يرتدين الملابس التي كنّ يلبسنها في آخر مرة شاهدهن فيها، فشل لسانه من هول المفاجأة، حتى تقدمت الأميرة إلى الأمام ورمت بنفسها عند قدميه وأخبرته بالقصة كاملة. عندها استيقظ الملك من حالة السحر التي كانت تتملكه، واشتد غضبه على الملكة البيضاء الساحرة التي سحرته لزمن طويل، ولم يستطع منع نفسه، فأمر بقتلها، وحفر قبرها، وبعدها عادت الملكات السبع إلى قصرهن المنيف وعاش الجميع في هناء.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






ISBN 978-9948-01-530-7
9 789948 015307